المملكة العربية السعودية
جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية

ابن الجوزي بين التأويل والتفويض

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في ع (العقيدة)

إعداد
أحمد عطية الزهراني
بإشراف
الأستاذ الدكتور/ عوض الله جاد حجازي

عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

" شكر وتقديـــــــر "

أقدم خالص شـــكرى ، وعظيم امتنانى ، وفائق تقديرى لأستاذى الفاضل فضيلة الأستاذ الدكتور عوض الله جاد حجازى الذى أشـــرف على هذه الرســـالة التى أقدمها اليوم الى قسم الدراسات العليا / فرع العقيدة ، وذلك لما قام به نحوى من نصح وتوجيه ، لا فى حدود الساعات المقررة رسميا بل كان الأمر أكـــبر من ذلك حيث كان يستقبلنا فى أى ساعة من ليل أو نهار فى منزله من أجل بحوثنـــا بوجه مشرق ، ونفس راضية مطمئنة ، لم نر عليه يوما الكآبة وعدم الرضا ، كل ذلـك كان باعثه سعة صدره - حفظه الله ورعاه - وطول باعه وخبرته فى الاشراف ، وكثرة من عرفهم من طلابه الذين مروا به فى حياته العلمية ، وإننى اذ أقدم له كلمـــــة الشكر هذه لا أجدها - بحق - تفى بما يستحقه من تقدير .. أقول هـــذا وفاء بما له علينا من جميل وعرفانا له بما قدم من نصح وارشاد .

كما أشكر جميع العاملين فى الدراسات العليا على ما قدموا لنا من تسهيلات أثناء دراستنا بالقسم وأشكر جميع الاخوة والزملاء الذين ساهموا فى انجـــــــاح هذا العمل بما قدموه لنا من مراجع وبأى صورة كانت تلك المساهمة . ،،،،

======
****



" الفهـــــرس "

==========

××××××

***

بسم الله الرحمن الرحيم

((مقدمة))

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد " فإن من نعم الله تعالى وتوفيقه أن التحقت بقسم الدراسات العليا بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، لإكمال دراستي التخصصية في (العقيدة الاسلامية)) ، وذلك لما للعقيدة من أهمية عظمى في السلوك الإنساني فهي التي تبنى عليها جميع الأعمال الشرعية ، فما لم يؤمن الإنسان ويعتقد بوجود إله قادر ، حكيم عليم ، وأنه سيحاسب الإنسان في الآخرة على ما قدم من عمل ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ولو لم يعتقد في الله وفي الجزاء ما قام بعمل الشعائر ، من صلاة ، وزكاة ، وحج ، وغيرها ، وما لم يؤمن العبد بيوم الجزاء والحساب ، ما أحسن معاملته للآخرين ، من إحسان إلى الجار ، وبر بالوالدين ، وصدق في المعاملة وغير ذلك .

ولما كانت العقيدة السليمة لها هذه الأهمية ، مكث الرسول عليه الصلاة والسلام في مكة يدعو أهلها إلى تصحيح عقيدتهم ، وترك عبادة الأوثان ، وإخلاص العبادة لله الواحد الديان مدة ثلاثة عشر عاماً .

وكان الأساس الذي تقوم عليه دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل مكة يدور على ثلاثة محاور أو ثلاثة اتجاهات هي :

الإتجاه الأول :

دعوة المنكرين لوجود الله تعالى الذين يرون الموت والحياة ، وما يجرى لهم من مصائب الدنيا إنما هي من فعل الدهر ، وأثر الزمان ، وتعاقب الأيام ، كما أخبرنا الله تعالى عن اعتقادهم هذا بقوله تعالى " (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدّهر)(1) ، أخذ يدعو هؤلاء إلى الإيمان بالله تعالى ، والتصديق بوجوده ، ولم تكن هذه الدعوة لتتوقف عند هذا الحد ، وإنما كانت مقدمة لدعوتهم إلى توحيد الله تعالى في العبادة ذلك التوحيد الذي جاءت جميع الرسل من أجل الدعوة إليه ، وهو إخلاص العبادة لله تعالى ، ونفي الشريك عنه جل جلاله .

---

(1) سورة الجاثية آية (٢٤)

الاتجـــاه الثاني"

دعوة أولئك الذين آمنوا بوجود الله تعالى ، وأنـه هو الذى يتصرف فـي الكون ، ويحي ويميت ، وآمنوا كذلك بالبعث والجزاء، ولكنهم مع ذلك جعلـوا معـه شركاء يتقربون اليهم بأنواع العبادة التي لايستحقها غير الله تعـالى وحـده ، من ذبح ، ونذر ، ودعاء ، وغير ذلك ، يقول تعالى مخبرا عنهم " (ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونـا الى الله زلفى) (١)

الإتجـــاه الثالث"

دعـوة الذين يؤمنون بالله تعالى ، ولكنهم ينكرون البعث والجزاء بعـــد الموت، يقول الله تعالى مخبرا عنهم "(وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قـــال من يحيى العظام وهي رميم) (٢) ، وقال تعالى "(وقالـوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) (٣) دعوة هؤلاء إلى الإيمان بالبعث والجزاء ، وإلى توحيد الله تعالى ، وعـدم إشراك غيره معه في العبادة .

وليس كلا منا مع هؤلاء جميعا ، وإنما بحثنا سيتناول موضوع توحيد الأسماء والصفات ، وهذا الموضوع لم يوجد البحث فيه في عصر النبي صلى الله عليـه وسلم ، ولا في عصر الخلفاء الراشدين ، لأن الصحابة رضوان الله عليهم عندمـا كان ينزل القرآن عليهم يصف الله تعالى بأى صفة ، لم يناقشوها ، لأن لغتهم العربية ، وسليقتهم السليمة ، كانت تعاونهم على فهم نصوص القرآن الكريم وآياته .

ومن هنا لم يحصل نزاع ولا خلاف في عهدهم في موضوع الأسماء والصفات، ولكن لما كثرت الفتوحات الإسلامية ، في الشام ، والعراق ، ومصر، واختلط العـرب بغيرهم من الأجانب من الفرس والروم ، بدأ الخلاف يظهر في موضوع الصفات، لعوامل فكرية وسياسية جدت بعد عصر الخلفاء الراشدين . ولما كان موضوع الأسماء والصفات من الموضوعات المهمـة في مسائل العقيدة ، والتي كثـر الخلاف فيها ، والكلام حولها بين العلماء ، رأيت أن يكون بحثي لنيل درجـة الماجستير في هذا الموضوع وعند عالم من أشهر علماء الحنابلة ، وهو (أبو الفرج ابن الجوزى)

---

(١) سورة الزمـر آية (٣) (٢) سورة يس آية (٧٨)
(٣) سورة الاسراء آية (٤٩)

م/ب

وقد كان اختيارى بحث هذا الموضوع عند ابن الجوزى قائما على أسباب منها " —

أولا "

لقد حصل خلاف بين كثير من العلماء حول تحديد موقف ابن الجوزى من الصفات الخبرية ، فالبعض (١) يرى أنه مؤول ، قد سلك طريق المتكلمين في الصفات الخبرية ، وبناء على هذا فأقول ابن الجوزى وآراؤه في الصفات الخبرية محل نظر ، بينما يرى الآخر أن ابن الجوزى وهو حنبلي سلفي الإتجاه ، لاسيما وأن ابن الجوزى قد ذكر أنه يعبر عن رأى الامام أحمد ويدافع عنه • ويرى فريق ثالث " أن ابن الجوزى مضطرب في آرائه المتعلقة بالصفات الخبرية • (٢) •

غير أنني أرى أن معظم هذه الأقوال عن موقف ابن الجوزى في الصفات لاتستند على بحث علمي ، فقد كان أصحابها يعتمدون في أقوالهم هذه على كتاب ابن الجوزى" (دفع شبهة التشبيه) فكل يحتج به في الجانب الذى يرى أنه هو الصواب •

ثانيا "

أن ابن الجوزى نفسه ذكر في بعض مؤلفاته أنه يعبر عن رأى الامام أحمد ويدافع عنه وبسبب هذا الخلاف القائم بين العلماء حول تحديد موقف ابن الجوزى من الصفات الخبرية من جهة ، ودعوى ابن الجوزى أنه يقول برأى الإمام أحمد ويدافع عنه من جهة أخرى ، رأيت أن أدرس هذا الموضوع ، كي تتبين حقيقة رأى ابن الجوزى في الصفات، ومقدار علاقته برأى الإمام أحمد ، وأن يكون هذا الموضوع هو البحث الذى أتقدم به لنيل درجة الماجستير في (العقيدة) بعنوان "

((ابن الجوزى بين التأويل والتفويض))

وبعد اختيارى الموضوع ، وموافقة مجلس قسم الدراسات العليا عليه ، حاولت التخطيط له ، ورسم المنهج والطريق الذى سأسلكه في الوصول إلى الهدف من الموضوع، فكان أن قسمت الموضوع إلى مقدمة ، وبابين وخاتمة •

أما المقدمة "

فقد بينت فيها الدوافع والأسباب لاختيار الموضوع، وبينت الخطة والمنهج الذى سرت عليه في كتابة هذا البحث •

---

(١) مثل " إسحاق بن غانم العلثي •

(٢) مثل " ابن تيمية ، وابن رجب •

وأما الباب الأول "

فقد جعلته للتعريف بابن الجوزى ، وهو يتكون من فصلين"

الفصل الأول "

عن عصر ابن الجوزى ويشتمل على دراسة النواحي الآتية " —

ا — الحياة السياسية •

ب — الحياة الاجتماعية •

جـ — الحياة العلمية •

الفصل الثاني "

(حياة ابن الجوزى)

أولا " — ا — نسبه •

ب — لقبه •

جـ — مولده •

د — وفاته •

ثانيا " — نشأته العلمية •

ثالثا " — مشايخه الذين تلقى عليهم العلم ونبذة قصيرة عن أشهرهم •

رابعا " — مؤلفات ابن الجوزى •

وأما الباب الثاني"

فكان لبيان موقف ابن الجوزى من قضية التأويل وهو يتكون من أربعة فصول —

الفصل الأول "

كان لبيان معنى المحكم والمتشابه ، والتأويل ، والتفويض، وآراء العلماء في ذلك

ويتكون هذا الفصل من خمسة مباحث " —

المبحث الأول "

ورود ألفاظ المحكم والمتشابه في القرآن الكريم •

المبحث الثاني "

معنى المحكم والمتشابه في اللغة ، ثم في اصطلاح العلماء •

المبحث الثالث"

مناقشة الآراء ، وبيان الراجح منها •

المبحث الرابع :-

في (التأويل) ويتناول الكلام فيه ما يأتي :

أولا : ورود لفظ (التأويل) في القرآن الكريم ، والمعنى المراد به .

ثانيا : معنى (التأويل) في اللغة ، وفي اصطلاح العلماء .

المبحث الخامس :

في (التفويض) وبيان المقصود به عند العلماء .

ويعتبر هذا الفصل بمثابة التأسيس للفصول التى جاءت بعده .

أما الفصل الثاني :

فقد كان لبيان آراء العلماء في مشكلة الصفات بوجه عام ، وبيان رأى ابن الجوزى فيهـا .

أما الفصل الثالث :

فقد كان لبيان الصفات الخبرية ، ورأى ابن الجوزى فيها ، ومقدار صلته بآراء الفرق الإسلامية ، وكذلك برأى السلف .

وأما الفصل الرابع :

فقد كان للمقارنة بين رأى ابن الجوزى في الصفات الخبرية ، ورأى الإمام أحمد رضي الله عنه فيها .

وأما الخاتمة :

فقد ذكرت فيها النتائج التى توصلت إليها في هذا البحث .

هذا ولقد واجهتني صعوبات كثيرة في إعداد هذا البحث وكتابته منها : أن ابن الجوزى ترك مؤلفات كثيرة ومتعددة ، أغلبها مخطوط ، لم يحظ بالطبع ، ولا بالتخريج ، مما اضطرني إلى التردد على كثير من المكتبات العامة والخاصة في القاهرة ، والرياض ومكتبة جامعة الملك عبد العزيز بمكة وجدة . ومنها : اختلاف آراء ابن الجوزى وتعدد أقواله في المسألة الواحدة ، مما يضطر الباحث معه أن يقرأ له أكثر من كتاب في هذه المسألة ، ويحاول أن يبين أى الرأيين أسبق وأى الكتابين كان أولا ، وهو عمل شاق يحتاج إلى معرفة زمن التأليف ومقارنة الأسلوب .

وإننى إذ أتقدم برسالتي هذه إلى قسم الدراسات العليا في كلية الشريعة

والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، وإلى أعضاء لجنة الحكـــــم المحترمين ، أرجو أن أكون قد وفقت إلى الغاية التى أنشدها من خلال هذا البحث ، وهي تعرف حقيقة رأى ابن الجوزى في موضوع الصفات ، وأن أكون قد وصلت إلى الحق فيـــه .

والله نسأل أن يكون عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم ، إنه سميع مجيب ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعيـــــن .

((الباب الأول))

في

((التعريف بابن الجوزي)) ويشتمل على فصلين*

الفصل الأول * عصر ابن الجوزي.

الفصل الثاني * حياة ابن الجوزي.

((الفصل الأول))

((عصر ابن الجوزي) ويشتمل على النواحي الآتية "

ا ـ الحياة السياسية .

ب ـ الحياة الاجتماعية.

جـ ـ الحياة العلمية .

تمهيـــد "

عاش ابن الجوزى في القرن السادس الهجرى على ما سيأتي بيانه - إن شاء الله - عند الكلام على حياة ابن الجوزى في الفصل الثاني ، والقرن السادس الهجـــرى يعنى أنه معاصر للدولة العباسية التى امتد حكمها من عام ١٣٢ هـ حـــتى سقوط بغداد على يد التتار في القرن السابع عام ٦٥٦ هـ ، ولسنا معنيين هنـا بدراسة الدولة العباسية تفصيلا ، ولا ببيان الأدوار التى مرت بها ، ولكـــن يمكننا القول " إن الدولة العباسية قد مرت بفترات من القوة والضعف ، وأن أزهى عصورها قد انتهى في منتصف القرن الثالث الهجرى ، أما بعد ذلـــك فقد اعتراها التحلل والضعف ، وأنه كانت هناك دويلات قائمة داخل الدولـة العباسية ، وكان لهذه الدويلات في بعض الأحيان الحكم والسلطان ، ولم يكـــن للخليفة العباسي سوى الاسم والرسم فقط ، أما التصرف في الدولة فكان يقوم به غيره من السلاطين " الغزنويين ، أو السلجوقيين ، أو الفاطميين ، والذى يعنينا هنـا هي الفترة التى عاش فيها ابن الجوزى ، وهي تمتد من عام ٥١٠ - ٥٩٧ هـ ، وهذه الفترة تعاصر (دور الانحلال العباسي وبداية نهايتهم) (١) وفي ذات الوقت - وفي الطرف المقابل - تعنى سيادة سلطان السلاجقة ، حيث اتسع سلطانهم حتى فاق سلطان البيت الغزنوى ، وكان عصرهم أكثر ازدهارا ، وملكهم أعظم رقعـــة ، وقوتهم أعز سلطانا ومنعة ... والى السلاجقة يرجع الفضل - بعد الله - في تجديد قوة الإسلام ، وإعادة تكوين وحدته السياسية . (٢)

وللباحث أن يتساءل " من هم السلاجقة ؟ ومن أين أتوا ؟ وكيف دخلـــوا بغداد ، وصارت لهم هذه القوة والمنعة في ظل الدولة العباسية ؟ وللاجابة على هذه الأسئلة نبدأ دراسة عصر ابن الجوزى بالحياة السياسية .

---

(١) الخولي " ابن الجوزى الواعظ ص ١٧ . رسالة دكتوراه ، مخطوطة في مكتبة كلية أصول الدين بجامعة الأزهر .

(٢) د . حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ٤/١ ، الطبعة الأولى ١٩٦٧

م / ب

ا ـ الحياة السياسية "

ينتسب السلاجقة إلى سجلوق بن تقاق أحد رؤساء الأتراك(١)٠ والذين كانوا يسكنون فيما وراء النهر ٠(٢) يقول ابن خلكان " إنهم كانوا يسكنون فيما وراء النهر ، في موضع بينه وبين بخارى مسافة عشرين فرسخا ٠٠٠ وكان عددهم يجل عن الحصر والإحصاء ، وكانوا لا يدينون بالطاعة لسلطان ، وإذا قصدهم جمع لا طاقة لهم به دخلوا المفاوز ، وتحصنوا بالرمال ، فلا يصل إليهم أحد ٠ (٣)

وقد ذكر ابن الأثير في سبب إسلام السلاجقة أن سجلوق بن تقاق لما شب عن الطوق وبلغ مبلغ الرجال ، ظهرت عليه أمارات النجابة ومخايل الذكاء ، وعرف بعلو الهمة ، وسعة العقل ، والكرم حتى استمال قلوب رجال الدولة إليه ، فقربه ملك الترك إليه ، ولقبه بلقب (سباشي) ومعناه " قائد الجيش ، ولكن زوجة الملك أوجست منه خيفة ، لما رأته من طاعة الناس له ، وانقيادهم إليه ، وحملت الملك على قتله ٠

ولما علم سجلوق بالخبر ، خشي على حياته ، فسار على رأس جماعته إلى دار الإسلام ، وتحول إلى الدين الحنيف ، وصح إيمانه ، وأقام هو وعشيرته بنواحي جند (٤) ، وأخذ يغير على بلاد الأتراك ، ~~الذين يعيشون في بلاده~~ ،

---

(١) د ٠ حسن ابراهيم " ـ تاريخ الاسلام ٤/١٠٠

(٢) المراد " نهر سيحون " وهو بفتح أوله وسكون ثانيه وحاء مهملة وآخره نون ، نهر مشهور كبير بما وراء النهر ، قرب خجنده ، بعد سمرقند ، يجمد في الشتاء حتى تجوز على جمده القوافل ، وهو في حدود بلاد الترك ٠ ١٠ هـ ٠ ياقوت الحموى معجم البلدان ٣/ ٢٩٤

(٣) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ٤/ ١٥٥ ، الطبعة الاولى سنة ١٣٦٧ هـ ، ١٩٤٨ م

(٤) جند " بالفتح ثم السكون ، ودال مهملة ، اسم مدينة عظيمة في بلاد تركستان ، بينها وبين خوارزم عشرة أيام تلقاء بلاد الترك ، ما وراء النهر ، قريب من نهر سيحون ، وأهلها مسلمون ينتحلون مذهب أبي حنيفة ١٠ هـ ٠ ياقوت الحموى ٢/ ١٦٨

الذين كانوا لايزالون على الكفر، وكان ملكهم يأخذ الخراج من المسلمين الذين يعيشون في بلاده ، وقد طرد سجلوق عمال هذا الملك ، وضم بلاده إلى بلاد الإسلام ، (١) ، وقد عمل السلاجقة على توسيع ملكهم حتى أصبح أعظم رقعة ، وقوتهم أعز سلطانا ومنعة، الأمر الذى دفعهم إلى التطلع إلى دار الخلافة العباسية ببغداد ، إذ أرسل محمد ابن ميكائيل بن سجلوق ، الملقب طغرل بك ، يستأذن الخليفة العباسي في دخول بغداد ، فأرسل الخليفة العباسي إلى طغرل بك يستنهضه على المسير إلى العراق ، وذلك بعد أن تأكدت الوحشة وظهر الخلاف والشقاق بين الخليفة والحارث البساسيرى (٢) ، بسبب ما صح عند الخليفة من سوء عقيدته ، وشهادة جماعة من الأتراك عنده ، أنه عازم على نهب دار الخلافة ، وأنه قد كاتب الفاطميين في مصر بالطاعة لهم ، وخلع ما كان عليه من طاعة العباسيين ، وأنه يريد القبض على الخليفة ، وما إن كتب الخليفة إلى طغرل بك ، يأذن له في دخول بغداد حتى انفض أكثر من كان مع البساسيرى ، وعادوا إلى بغداد سريعا ، وأجمع رأيهم على قصد دار البساسيرى ، وهي في الجانب الغربي ، فأحرقوها وهدموا أبنيتها ، ووصل السلطان طغرل بك ، إلى بغداد يوم الإثنين الخامس والعشرين من شهر رمضان من سنة ٤٤٧ هـ ، وذلك بعد أن تقدم الخليفة إلى الخطباء بالخطبة لطغرل بك بجوامع بغداد ، فخطب له يوم الجمعة ، الثامن والعشرين من رمضان من السنة ذاتها . (٣)

وقد عمل السلاجقة منذ توليتهم السلطة على استعادة نفوذ الخليفة العباسي على الأجزاء التى اقتصبها الشيعة الفاطميون في مصر ، مثل بدمشق ، والرملة ، وبيت المقدس(٤) مما أدى الى ثقة الخليفة بالسلاجقة ، وتفويضهم في شئون البلاد والعباد .

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ٩/ ٤٧٤ دار بيروت للطباعة .

(٢) البساسيرى ، هو الحارث بن أرسلان البساسيرى التركي ، كان من مماليك بها الدولة، وكان أولا مملوكا لرجل من أهل مدينة بسا ، فنسب إليه فقيل له " البساسيرى وتلقب بالملك المظفر ، ثم كان مقدما كبيرا عند الخليفة القائم بأمر الله ، لايقطع أمرا دونه ، وخطب له على منابر العراق كلها . ابن كثير ، البداية والنهاية ١٢ / ٨٤ مطبعة السعادة

(٣) ابن كثير ، البداية ١٢ / ٦٦ وابن الأثير ، الكامل ٩ / ٦١٠ حوادث ٤٤٧ هـ

(٤) د . حسن ابراهيم " النظم الإسلامية ٩٨ من ابن الجوزى الواعظ ص ٢١

م/ب

يصف ابن الأثير إجتماعا دار بين السلطان طغرل بك والخليفة في بغداد سنة ٤٤٩هـ وكان ذلك بعد أن تم للسلطان الإستيلاء على الموصل وأعمالها، وتسليمها لأخيه إبراهيم ينال، فيقول ابن الأثير "(فقال الخليفة لرئيس الرؤساء " قل له إن أمير المؤمنين شاكر لسعيك، حامد لفعلك، مستأنس بقربك، وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاده، ورد عليك مراعاة عباده، فاتق الله فيما ولاك، واعرف نعمته عليك في ذلك، واجتهد في نشر العدل وكف الظلم، وإصلاح الرعية، وأمر الخليفة بإفاضة الخلع عليه، ... وخاطبه بملك المشرق والمغرب) (١)

ولكن على الرغم من هذه الثقة الكبيرة، والصلاحيات الواسعة النطاق، التى منحها الخليفة للسلاطين، وعلى الرغم من الفتوحات التى كان يقوم بها السلاطين لصالح الخلفاء، فان أحدا من الطرفين لم يحاول بادئ الأمر استغلال سلطانه أو نفوذه ضد الآخر، بل قامت بين الأسرتين صلات اتسمت بالروح الطيبة، والعلاقة الحسنة فاذ كان الخليفة اذا ما ارتقى العرش، يبعث الى السلطان السلجوقي لأخذ البيعة له، كما يلتمس السلطان السلجوقي بعد توليه الحكم التفويض من الخليفة في قيامه بالعمل، يقول ابن الأثير في وصف هذه العلاقة المتبادلة بين الفريقين " (وجلس الخليفة جلوسا عاما سابع جمادى الأولى سنة ٤٥٦ هـ وشافه الرسل بتقليد ألب أرسلان للسلطنة، وسلمت الخلع بمشهد من الخلق، وأرسل اليه من الديوان، لأخذ البيعة، ... فوصلوا اليه وهو بنقجوان (٢) من أذربيجان، فلبس الخلع وبايع للخليفة) (٣)

---

(١) الكامل ٩/ ٦٣٣ ـ ٦٣٤

(٢) نقجوان " بالفتح، ثم السكون، وجيم، آخره نون، وهو بلد من نواحي (أرّان) وهو نخجوان، الحموى . معجم البلدان ٥/ ٢٩٨ وقال في موضع آخر ص ٢٧٦ عند ذكر نخجوان " وبعضهم يقول" نقجوان . ١٠هـ ياقوت الحموى .

و(أرّان) بالفتح، وتشديد الراء وألف، ونون " اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة . وبين أذربيجان وآران نهر يقال له " الرس، كل ما جاوره من ناحية المغرب والشمال، فهو من (آران)، وما كان من جهة المشرق فهو من أذربيجان ١/ ١٣٦ معجم البلدان

(٣) الكامل ١٠/ ٣٥

ولم تقتصر تلك العلاقات الطيبة ، والصلات الحسنة على مجال الحكم والسياسة فحسب ، بل عملت الأسرتان ـ السلجوقية والعباسية ـ على تقوية تلك الروابط برباط المصاهرة بينهما ، ففي سنة ٤٤٨ هـ عقد القائم بأمر الله على أرسلان خاتون ، ابنة داود أخي السلطان طغرل بك ، (١) كما تم عقد آخر للسلطان طغرل بك على ابنة الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٥٤ هـ ، وكانت الخطبة قد تقدمت سنة ٤٥٣ هـ ، وقد جمع السلطان طغرل بك الناس وعرفهم أن همته سمت به الى الإتصال بهذه الجهة النبوية ، وبلغ من ذلك ما لم يبلغه سواه من الملوك. (٢)

ولم يكن غريبا أن تنشأ بين السلاجقة والخلفاء هذه الروابط الوثيقة وهذه الثقة المتبادلة ، إذا علمنا أن السلاجقة كانوا يعتنقون مذهب أهل السنة ، وهو مذهب الخلفاء العباسيين ، ذلك أن الإتفاق في المذهب من أقوى العوامل على تقارب القلوب ، وتآلف النفوس.

يقول ابن كثير في وصف السلاجقة "(... وكان السلاجقة الأتراك يحبون أهل السنة ويرفعون قدرهم .) (٣)

ولكننا إذا ما عدنا بالذاكرة إلى سبب دخول السلاجقة بغداد ، وهو ضعف الخلافة العباسية في القضاء على الحارث البساسيري ، داعية الشيعة الفاطميين في مصر ، لم يكن الأمر بعد ذلك مستغربا أن يعود الخلفاء الى ما كانوا فيه من الضعف والهوان، وأن يبلغ بهم الضعف إلى مغادرة بغداد خوفا من السلطان وجنده ، بل ويتعدى الأمر إلى نهب دار الخلافة ، ويزداد الأمر سوءا والخليفة ضعفا ، إلى درجة أن يقع الخليفة أسيرا في بعض الأحيان في يد السلطان السلجوقي ، وذلك بعد أن استبد السلاجقة بالسلطة ، ومزقوا عرى المحبة والوئام ، التى كانت قائمة بين الأسرتين ، ولنذهب إلى كتب التاريخ لنذكر بعض الشواهد على ما حدث بين السلاجقة والخلفاء :

---

(١) الكامل ٩/ ٦١٧

(٢) الكامل لابن الأثير ١٠/ ٢٠

(٣) ابن كثير ـ البداية والنهاية ١٢/ ٦٩ حوادث ٤٤٧ .

م/ب

ففي سنة ٥٢٠ هـ حدث خلاف بين الخليفة المسترشد بالله والسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ، مما أدى إلى خروج الخليفة وأتباعه إلى الجانب الغربي من بغداد ، وقد حدثت مناوشات بين عسكر الطرفين ، ترتب عليها دخول جماعة من عسكر السلطان دار الخلافة ، وتمكنوا من نهب التاج ، وحجز الخليفة أول المحرم من سنة ٥٢١ هـ • (١)

وفي سنة ٥٢٩ هـ نشبت حرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين السلطان مسعود في شهر رمضان ، وقد إنتهت الحروب بأسر الخليفة • (٢)

وفي سنة ٥٣٠ هـ نشبت الحرب بين الخليفة الراشد والسلطان مسعود ، وذلك عندما إمتنع الخليفة أن يسلم للسلطان مبلغ أربعمائة ألف دينار ، ثبت على المسترشد بالله ، وقد إعتذر الخليفة الراشد بأن المال كله كان مع المسترشد بالله ، وقد نهب في هزيمته التي أسر فيها • (٣)

وفي سنة ٥٥١ هـ في ذي الحجة حاصر السلطان محمد بن محمود بغداد ، بعد أن رفض الخليفة أن يلبي طلب السلطان " أن يخطب له ببغداد والعراق • (٤)

وبعد هذا البيان الموجز عن الحالة السياسية في عصر ابن الجوزي يظهر لنا بوضوح سيادة المذهب السني ، الذي كان يعتنقه كل من السلاجقة والعباسيين ، وهم حكام البلاد ، فلم يكن إذاً هناك أي تأثير معاكس على اتجاه ابن الجوزي ، من الناحية السياسية ، إذ أن كل ما حدث من حروب آنذاك لا يخلوا من أن تكون حربا بين السلاجقة والصليبيين ، وأنصار الشيعة الفاطميين ، أو أن تكون بين السلاجقة والعباسيين ، لا من أجل المذهب ، ولكن من أجل السلطة والنفوذ — ! !

هذا بالنسبة للحروب الداخلية التي يكون لها الأثر الفعال في اتجاه شخص ما •

ولكن ترى ما هو أثر هذه الحروب الداخلية على الحياة الإجتماعية ؟ إذ ما من شك في أن لكل من الهدوء والإستقرار ، والفوضى والإضطراب أثرا على سلوك الأفراد والجماعات من الناحية المعاشية والسلوكية ، وفي الفقرة التالية ، وهي الحياة الإجتماعية يظهر لنا مدى الأثر الذي تركته الحروب الداخلية ، وبالله التوفيق•

---

(١) ابن الأثير — الكامل ١٠ / ٦٣٥ حوادث ٥٢٠

(٢) الكامل ١١ / ٢٤

(٣) الكامل ١١ / ٣٥

(٤) المصدر السابق ١١ / ٢١٢

م/ب

ب ـ الحياة الاجتماعية"

أما الحياة الاجتماعية في القرن السادس الهجري، فقد سارت شبها للحياة السياسية التى سادتها الفوضى والاضطرابات، لنتيجة للحروب الداخلية التى كانت قائمة بين الخلفاء والسلاطين من أجل السلطة، والتى شغلت الحكام عن رعاية أحوال الأمة، والنظر في مصالحها، والمحافظة على أمنها واستقرارها، مما أدى الى انتشار الفساد الخلقي بين المجتمع، اذ شاع بين الناس ـ آنذاك ـ شرب الخمر، والزنا، والسرقة، وأكل الربا، وتطفيف الكيال، وقطع الطريق وغير ذلك ٠

وابن الجوزى خير من يصف لنا الحالة الاجتماعية في بغداد، ـ في ذلك الوقت ـ اذ أنه أحد أبنائها مولدا ونشأة، فهو اذن الخبير بأحوال الناس هناك، يقول ابن الجوزى"

(نظرت الى الناس فرأيتهم ينقسمون بين عالم وجاهل، فأما الجهال، فانقسموا، فمنهم سلطان قد ربي في الجهل ولبس الحرير، وشرب الخمور، وظلم الناس، وله عمال على مثل حاله، فهؤلاء بمعزل عن الخير بالجملة ٠

ومنهم" تجار همتهم الاكتساب وجمع الأموال، وأكثرهم لا يؤدى الزكاة، ولا يتحاشى من الربا، فهؤلاء في صور الناس ٠

ومنهم "أرباب معاش، يطففون الكيال، ويخسرون الميزان، ويبخسون الناس، ويتعاطون بالربا، وهم في الأسواق طول النهار، لا همة لهم الا ما هم فيه، فاذا جاء الليل وقعوا نياما كالسكارى، فهمة أحدهم ما يأكل ويلتذ به، وليس عندهم من الصلاة خبر، فان صلى أحدهم نقرها، أو جمع بينهما، (١) فهؤلاء في عداد البهائم ٠

ومن الناس " ذووا رذالة في جميع أحوالهم، فهذا كناس وهذا زبال، وهذا نخال، وهذا يكسح الحش فهؤلاء أرذل القوم ٠ (٢)

---

(١) لعل الصواب" بينها، أى بين الصلوات، ويحتمل جمع بين الصلاتين ٠

(٢) لعل مراده " أنهم لا يتحروا النجاسة، أو يهملون أداء العبادات، والا فان هذا العمل لا ينكره الدين لذاته، بل يحث على مزاولة الأعمال التى تكف صاحبها عن التسول، وتبعده عن الفاقة والاحتياج ٠

م / ب

ومنهم " من يطلب اللذات ولا يساعده المعاش، فيخرج الى قطع الطريق ، وهؤلاء أحمق الجماعة ، اذ لاعيش لهم ، فان التذوا لحظة بأكل أو شرب ، فحركت الريح قصبة هربوا خوفا من السلطان ، وما أقل بقائهم ، ثم القتل والصلب مع إثم الآخرة .

ومنهم " أرباب قوى ، قد عمهم الجهل ، وأكثرهم لايتحاشى من نجاسة ، فهم في زمرة البقر ، ورأيت النساء ينقسمن أيضا ، فمنهن المستحسنة التى تبغى .

ومنهن " الخائنة لزوجها في ماله ، ومنهن " من لاتصلي ولاتعرف شيئا من الدين فهؤلاء حشو النار ، فاذا سمعن موعظة فانها كما (١) مرت على حجر ، واذا قرئ عندهن القرآن فكأنهن يسمعن السمر .

وأما العلماء " فالمبتدئون منهم ينقسمون الى ذى نية خبيثة يقصد بالعلم المباهاة لا العمل ، ويميل الى الفسق ظنا أن العلم يدفع عنه ، وانما هو حجة عليه .
وأما المتوسطون و المشهورون ، فأكثرهم يغشى السلاطين ، ويسكت عن انكار المنكر ، وقليل من العلماء من تسلم له نيته ، ويحسن قصده ، فمن أراد الله به خيرا رزقه حسن القصد في طلب العلم ، فهو يحصله لينتفع به وينفع ، ولايبالي بعمل مما يدله عليه العلم ، فتراه يتجافى أرباب الدنيا ، ويحذر مخالطة العوام ، . . . فان مخالطتهم فتنة في الدين ، الا أن يحترز مجالسهم ، ويمنعهم من القول فيقول هو ويكلفهم السماع ، فذاك الذى ينفع وينتفع به .) (٢)

---

(١) لعل الصواب " كأنما مرت .

(٢) ابن الجوزى " صيد الخاطر فصل (٢٥٠)

م/ب

ولم تكن هذه الصفات المتقدمة للمجتمع البغدادي ــ في ذلك الوقت ظاهرة فقط لمن ولد ونشأ في بغداد كابن الجوزى ، بل كانت ظاهرة وبشكل واضح ، وآخذة الطابع السائد للمجتمع آنذاك ، تظهر للغريب كما تظهر للمقيم ، فابن جبير الاندلسي ــ مثلا ــ يصف لنا في رحلته مجتمع بغداد ــ آنذاك ــ ولا يكاد يختلف عما قاله ابن الجوزى ، وان اختلفت العبارات ، اللهم الا ما لمسه منهم تجاه الغرباء عن بغداد ، باعتباره غريبا عنها ووافدا عليها ، يقول ابن جبير في وصف أهل بغداد " (وأما أهلها فلا تكاد تلقى منهم الا من يتصنع بالتواضع رياء، ويذهب بنفسه عجبا وكبرياء ، ويزدرون الغرباء ، ويظهرون لمن دونهم الأنفة والاباء ، ويستصغرون عمن سواهم الأحاديث والأنباء ، قد تصور كل منهم في معتقده وخلده أن الوجود كله يصغر بالاضافة لبلده ، فهم لا يستكرمون في معمور البسيطة مثوى غير مثواهم ، كأنهم لا يعتقدون أن لله بلادا أو عبادا سواهم ، يسحبون أذيالهم أشرا وبطرا ، ولا يغيّرون في ذات الله منكرا ، يظنون أن أسنى الفخار في سحب الازار ، ولا يعلمون أن فضله بمقتضى الحديث المأثور في النار ، يتبايعون بينهم بالذهب قرضا ، وما منهم من يحسن لله قرضا ، فلا نفقة فيها الا من دينار تقرضه ، وعلى يدى مخسر للميزان تعرضه ، لا تكاد تظفر من خواص أهلها بالورع العفيف ، ولا تقع من أهل موازينها ومكاييلها الا على من ثبت له الويل في سورة التطفيف ، لا يبالون في ذلك بعيب ، كأنهم من بقايا مدين قوم النبي شعيب ، فالغريب فيهم معدوم الارفاق ، متضاعف الانفاق لا يجد من أهلها الا من يعامله بنفاق ، أو يهش اليه هشاشة انتفاع واسترفاق كأنهم من التزام هذه الخلة القبيحة على شرط اصطلاح بينهم واتفاق ، فسوء معاشرة أبنائها يغلب على طبع هوائها ، ومائها ، ويعلل(١) حسن المسموع من أحاديثها وأنبائها ، أستغفر الله الا فقهاءهم المحدثين ، ووعاظهم المذكرين، لا جرم أن لهم في طريقة الوعظ والتذكير ومداومة التنبيه والتبصير ، والمثابرة على الانذار والتخويف والتحذير ، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى ما يحط كثيرا من أوزارهم ، ويسحب ذيل العفو على سوء آثارهم ، ويمنع القارعة الصماء أن تحل بديارهم ، لكنهم معهم يضربون في حديد بارد ، ويرومون تفجير الجلامد ، فلا يكاد يخلو يوم من أيام جمعاتهم من واعظ يتكلم فيه ، فالموفق فيهم لا يزال في مجلس ذكر أيامه كلها ، لهم في ذلك طريقة مباركة ملتزمة) (٢)

---

(١) يضعف •

(٢) ابن جبير ــ رحلة ابن جبير ص١٩٤ ــ ١٩٥ ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٧٩هـ

ولما كان الغرض من دراسة الحالة الاجتماعية في عصر ابن الجوزي هو التعرف على الأثر الذي أحدثته هذه الحالة في التأثير على اتجاهه ، فانه يمكننا أن نقول وبكل تأكيد " بأن الحالة الاجتماعية لم يكن لها أي أثر عليه ، وذلك استنادا الى ما قاله هو عن نفسه وهو يخاطب ولده في رسالة ينصحه فيها أسماها "(لفتة الكبد الى نصيحة الولد) ، يقول ابن الجوزي"

(وما ذل أبوك في طلب العلم ، ولا خرج يطوف في البلدان كغيره من الوعاظ ، ولا بعث رقعة الى أحد يطلب منه شيئا ، وأموره تجري على السداد)۰(١)

وهذا الكلام — ان صح — يدل على أن الرجل شريف النفس ، عالي الهمة ، لم يقف بباب أمير ، رغبة أو رهبة ، وكان زاهدا في الدنيا ، قانعا بما قسم الله له ، راضيا به ، ولم يتخذ العلم وسيلة للكسب المادي ، ولكن هذه الحالة الاجتماعية السيئة قد أثرت فيه ، من ناحية نقده للمجتمع ، ومؤاخذته له في التقصير في أمور الدين ، ولم يسلم من نقده العامة ، والخاصة ، وخير شاهد على ذلك كتابه " تلبيس ابليس أو نقد العلماء " ۰

---

(١) لفتة الكبد ص ١ عن ابن الجوزي الواعظ ص ٦٥ ، رسالة دكتوراه مخطوطة في كلية اصول الدين بجامعة الأزهر ۰

م/ب

ج ـ الحياة العلمية "

بالرغم مما أصاب الحياة السياسية من اضطراب ، بسبب الحروب الداخلية التى كانت قائمة بين الخلفاء والسلاطين ، وبالرغم مما أصاب الحياة الاجتماعية من تدهور وانحلال ، ـ كما تقدم بيانه تفصيلا ـ الا أن الحياة العلمية كانت مزدهرة جدا ، فالعلماء كانوا يقومون بواجباتهم تجاه الأمة ، من تعليم ، وتبصير بأمور الدين خير قيام ، لم تلههم الفتن الداخلية ، ولم يفت في عضدهم ما حصل بالأمة من انحراف عن الدين ، وفساد اخلاقي في تصرفاتهم ومعاملاتهم مع ربهم وأمتهم ، يدل لذلك ما سبق أن ذكرناه من قول ابن جبير في وصفه مجتمع بغداد ـ في ذلك الوقت ـ اذ يقول " (... الا فقهائهم المحدثين ، ووعاظهم المذكرين ، لاجرم أن لهم في طريقة الوعظ والتذكير ، ومداومة التنبيه والتبصير ، والمثابرة على الانذار المخوف والتحذير ، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى ، ما يحط كثيرا من أوزارهم . الى أن قال "

(فلا يكاد يخلو يوم من أيام جمعاتهم من واعظ يتكلم فيه ، فالموفق فيهم لايزال في مجلس ذكر ، أيامه كلها ، لهم في ذلك طريقة مباركة ملتزمة .) (١)

ولم يكن النشاط العلمي قاصرا على كلمة وعظ تقال في يوم الجمعة ـ مثلا ـ بل كانت هناك مجالس للعلم خاصة في أيام مخصوصة ، ولعلماء مخصوصين ، يحدثنا عن تلك المجالس الرحالة (ابن جبير) في رحلته الى بغداد اذ يقول "

(١) رحلة ابن جبير ص ١٩٥

(فأول من شاهدنا مجالسه منهم ، الشيخ الامام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية ، وفقيه المدرسة النظامية ، والمشار اليه بالتقدم في العلوم الأصولية ، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة ، اثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر سنة ٥٨٠هـ .
وشاهدنا له فيها مجلسا ثانيا اثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر المذكور ، ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده الشيخ الفقيه .. جمال الدين أبي الفضائل ابن علي الجوزي ، بازاء داره على الشط بالجانب الشرقي ، وهو يجلس به كل يوم سبت . ثم شاهدنا مجلسا ثانيا بكرة يوم الخميس ... بباب بدر في ساحة قصور الخليفة ، وخص بالوصول اليه والتكلم فيه ليسمعه ... الخليفة ووالدته ، ... ويفتح الباب للعامة فيدخلون الى ذلك الموضع ، ... وجلوسه بهذا الموضع كل يوم خميس . وشاهدنا بعد ذلك مجالس لسواه من وعاظ بغداد ، ممن نستغرب شأنه بالاضافة الى ما عهدناه من متكلمي الغرب .) (١)

هذا وما ذكره ابن جبير من تعداد مجالس العلم تلك ، لم تكن الا امتدادا للدور الكبير الذي كان يقوم به المسجد ، منذ العصر الأول للاسلام ، اذ كان المسجد ، بالاضافة الى أنه مكان العبادة ، فهو أيضا يؤدي دور المدرسة ، والكلية ، والقيادة العسكرية ، والمجلس الاستشاري لسياسة الأمة في جميع نواحيها ، كما كانت تستقبل فيه الوفود ، ولكن الأمور أخذت تتغير ، وتأخذ شكلا آخر مع مرور الزمن ، وكثرة السكان ، وتغير وجهات النظر نحو الحياة ومطالبها ، فلم يعد الامر قاصرا على مجالس علم يعقدها الشيخ مع تلاميذه ، وان كانت لا تزال محافظة على طابعها حتى في العصر الحاضر ـ بل أخذت الأمور تتخذ شكل التخصصات والتنظيم ، من ناحية تعيين أماكن خاصة للدراسة سوى المسجد ، وكذلك تعيين أساتذة ومدرسين ، ومعيدين وما الى ذلك .

---

(١) رحلة ابن جبير ص ١٩٥ ـ ٢٠٠

م/ب

وفي عصر ابن الجوزي يذكر ابن جبير " (أنه يوجد في بغداد نحو ثلاثين مدرسة، وهي كلها بالشرقية ، وما منها مدرسة الا وهي يقصر القصر البديع عنها (١) ، وأعظمها وأشهرها (المدرسة النظامية) وهي التي بناها نظام الملك ، ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة تتصير الى الفقهاء المدرسين ، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم) .(٢)

وابن الجوزي الذي نحن بصدد دراسته ، يذكر أنه سلمت اليه المدرسة (٣) التي كانت دارا لنظام الدين أبي نصر بن جهير ، وكانت قد أوقفت على أصحاب احمد رحمه الله تعالى . (٤)

كما يذكر ـ أيضا ـ أنه سمع الحديث على الشيخ احمد بن منصور بن احمد أبو نصر في رباط بهروز الخادم ، وكان شيخ الرباط (٥)

وقد كان الرباط المقابل لجامع المنصور ينتسب للشيخ علي بن محمود الزوزني (٦) ، وبنى نور الدين محمود زنكي مدرسة ودارا للحديث بدمشق ، وهو أول من بنى دارا للحديث ، وقد تولى مشيختها الحافظ الكبير ابن عساكر الدمشقي الشافعي امام أهل الحديث في زمانه .(٧)

هذا ويبدو أن ازدهار الحركة العلمية هذه ، لم تكن وليدة عصر ابن الجوزي ، بل لعلها ثمرة من ثمرات تلك النهضة العلمية الكبرى ، التي سبقت عصر ابن الجوزي بقرون ، وقد ظهرت واضحة وبشكل منظم في القرن الخامس الهجري ، حيث قام نظام الملك بجهد كبير لفتح المدارس، وتعيين الأساتذة ، والمعيدين، وترتيب النفقات لأساتذتها وطلابها .

---

(١) كذا العبارة . ولعل الصواب " يقصر الوصف البديع عنها . الا أن يراد (بالقصر) هنا قصر الخلافة وأنه دون تلك المدارس في جودة البناء ورونقه .

(٢) رحلة ابن جبير ص ٢٠٥

(٣) أما المدرسة الجوزية بدمشق والتي كان يعمل فيها والد العلامة شمس الدين محمد ابـن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية قيما لها فهي تنتسب الى محي الدين يوسف ابن عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، وهو أصغر أولاده . أنظر ترجمته في ابن كثير ـ البداية والنهاية ١٣/ ٣١ مطبعة السعادة.

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ١٠/ ٢٥٢

(٥) المصدر السابق ١٠/ ٩٩ـ١٠٠.

(٦) المرجع السابق ٨/ ٢١٤

(٧) النعيمي ـ الدارس في تاريخ المدارس ١/ ٩٩ـ١٠٠ مطبعة الترقي بدمشق ١٣٦٧ هـ ، ١٩٤٨ م

م/ ب

والمدرسة النظامية في بغداد ، أعظم تلك المدارس، وأشهرها ، ـ كما سبق بيانه ـ وقد بدئ بعمارتها سنة ٤٥٧ هـ، وفي شهر ذي القعدة من سنة ٤٥٩ هـ تمت عمارتها ، وتقرر التدريس بها للشيخ أبي اسحاق الشيرازي • (١)

وبنى نظام الملك ـ أيضا ـ مدرسة بنيسابور ، تسمى (النظامية) درس بها امام الحرمين وفي صفر من سنة ٤٥٩ هـ وصل الى بغداد شرف الملك أبو سعد المستوفي وبنى على مشهد أبي حنيفة رضي الله عنه مدرسة لأصحابه • (٢)

ولسنا بصدد تعداد المدارس التي انتشرت بعد ذلك في انحاء البلاد الاسلامية ، وذكر أسماء مؤسسيها ، فليس ذلك من أهدافنا في هذا البحث ، وانما نهدف فقط الى بيان الحالة العلمية في عصر ابن الجوزى ، هل كانت مزدهرة ، والعلماء يقومون بواجبهم ؟ أو الأمر بالعكس ، لم يكن هناك نشاط علمي ، ويكفي ما ذكرناه لبيان أن الحالة العلمية في عصر ابن الجوزى كانت متقدمة ، والمدارس متوفرة ، والعلماء يقومون بالتدريس في مختلف العلوم والفنون ، غير ان العلماء يختلفون في بيان من هو المؤسس الأول للمدارس في الاسلام • ؟ !

فابن خلكان يقول "(ان أول من بنى المدارس في الاسلام هو الوزير نظام الملك، الذي أسس المدرسة النظامية في بغداد ، ثم اقتدى الناس به في بناء المدارس)•

الا أن هذا القول لم يكن مقبولا عند بعض العلماء ، فالحافظ الذهبي ينقل عنه السيوطي انه ينكر على من زعم أن نظام الملك أول من بنى المدارس) •

ويؤيد قوله هذا بذكر عدة مدارس أنشئت قبل نظام الملك ، ويقول "(قد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك ، والمدرسة السعدية بنيسابور ـ أيضا ـ بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود ، لما كان والياً بنيسابور، ومدرسة ثالثة بنيسابور ، بناها أبو سعد اسماعيل بن علي بن المثنى الاستراباذى ، الصوفي الواعظ شيخ الخطيب ، ومدرسة رابعة بنيسابور ـ ايضا ـ بنيت للأستاذ أبي اسحاق الاسفرائيني ، قال الحاكم في ترجمة أبي اسحاق " لم يكن بنيسابور مدرسة قبلها مثلها ، وهذا صريح في أنه بنى قبلها غيرها) •(٣)

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل ١٠ / ٤٩ ـ ٥٥

(٢) المرجع السابق ١٠ / ٥٤

(٣) السيوطي " حسن المحاضرة ٢/ ١٤١ •

م/ب

ولكن هذا الخلاف بين (ابن خلكان) و (الذهبي) لم يستمر دون توفيق بينهما، فقد حاول القاضي تاج الدين السبكي التوفيق بين الرأيين، فقد نقل السيوطي عنه قوله "(قد أدرت فكري وغلب على ظني أن نظام الملك أول من رتب فيها المعاليم للطلبة، فانه لم يصح لي، هل كان للمدارس قبله معاليم أو لا ؟ والظاهر أنه لم يكن لها معاليم) • (١)

وقد يكون هذا التوفيق مقبولا ومرضيا، لو سلم من الاعتراض الوارد عليه بشأن تقييد الأولية بترتيب المعاليم للطلبة والاساتذة، فالأستاذ الدكتور أحمد شلبي لا يرتضي قول السبكي "(بأن نظام الملك أول من قدر المعاليم للطلبة)، ويرى أن قول ابن خلكان صريح في أن نظام الملك أول من أنشأ المدارس لا أول من قدر المعاليم، ويذكر الدكتور شلبي " أن المعزيز بالله الفاطمي سبق نظام الملك بقرن تقريبا في تقدير هذه المعاليم للطلبة• (٢) والمعزيز بالله الفاطمي سبق نظام الملك في تقدير المعاليم في مصر بينما تقدير المعاليم سبقت نظام الملك - أيضا - في بغداد نفسها في القرن الثالث اذ حكى " أن الخليفة (المعتضد بالله العباسي) (٣) لما بنى قصره ببغداد استزاد في الذرع، فسئل عن ذلك فذكر " أنه يريده ليبنى فيها دورا، ومساكن، ومقاصر يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية، والعملية، ويجرى عليهم الأرزاق السنية، ليقصد كل من اختار علما أو صناعة، رئيسا فيأخذ منه • (٤)

اذن فما هو المخرج من المشكلة الحقيقية التى تدور آراء العلماء حولها وهي " هل كان نظام الملك أول من أنشأ المدارس أولا ؟ اذ ليست المشكلة في تقدير المعاليم كما سبق الكلام في ذلك •

(١) السيوطي " حسن المحاضرة ٢/ ١٤١

(٢) د • احمد شلبي " تاريخ التربية الاسلامية ٣٥٨ • الطبعة الثالثة، ١٩٦٦ م

(٣) تولى المعتضد بالله الخلافة سنة ٢٧٩ هـ • البداية ١١/ ٦٥، والكامل ٧/ ٤٥٦ •

(٤) السيوطي " حسن المحاضرة ٢/ ١٤٢

ونعود الى الدكتور (شلبي) ليجيب على هذا السؤال فيقول "
(الجواب عندى بالايجاب اذا أريد المعنى الفنى الدقيق لهذا التعبير، وأما ما يطلق عليه كلمة مدارس مما ظهر قبل نظام الملك فجهد محدود ضحل، لم يعمر طويلا، ولم يكن قوى الأثر في الحياة الاسلامية، ٠٠٠ فالذى ينسب الى نظام الملك هو هذه النهضة التعليمية التى لم تتوقف قط ٠٠٠ وهذا النظام الذى وضع لتعليم المسلمين في جميع البقاع، ٠٠٠ وهذه الشبكة من المدارس التى انتشرت في القرى ٠٠٠ والمدن، ولا يستطيع انسان أن يدعي أنه يجارى نظام الملك في هذا المجال) ٠ (١)

ولعل هذا الرأى هو الصواب، والموافق للحقيقة، لاسيما اذا علمنا أن نظام الأستاذ والمعيد قد أخذ بعين الاعتبار، وأصبح سارى المفعول في المدارس النظامية، اذ يذكر ابن الأثير " أن أبا الحسن علي بن علي بن سعادة الفارقي الفقيه الشافعي، ببغداد، بقي مدة طويلة معيدا بالنظامية ٠ (٢)

كما كان أبو الفتح بن أبي الحسن الأشترى الفقيه، يشتغل معيدا بالنظامية(٣) هذا ولما كان الهدف من هذه الدراسة هو معرفة ما اذا كان هناك عامل مؤثر في اتجاه ابن الجوزى من الناحية العلمية، فاننا نرى أن الحالة العلمية في هذا العصر، ونشاطها المستمر كان لها أثر كبير في اذكاء الروح العلمية عند ابن الجوزى، كما أن سيادة المذهب السنى عند الخلفاء والسلاطين في هذا العصر كان له أثر واضح في اتجاه ابن الجوزى هذا الاتجاه، وعدم انحرافه الى ما سواه كما سيتبين ذلك في موضعه ان شاء الله ٠

---

(١) احمد شلبي " تاريخ التربية الاسلامية ٣٥٨
(٢) ابن الأثير " الكامل ١٢ / ٢٤٣
(٣) المقدسي " الروضتين ١ / ١٣، مطبعة وادى النيل سنة ١٢٨٧ هـ

((الفصل الثاني))

(حياة ابن الجوزى)

أولا "

ا " نسبه .

ب" لقبه .

ج" مولده .

د " وفاته .

ثانيا "

نشأته العلمية

ثالثا "

مشايخه الذين تلقى عليهم العلم ، ونبذة قصيرة عن أشهرهم .

رابعا "

مؤلفات ابن الجوزى .

أولا :

أ ـ نسبه : هو الامام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله / بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى بن عبد الله . ويصل المؤرخون نسبه الى محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه . (١) ويقول المؤرخون " انه كان يسمى قبل ذلك (المبارك) فسماه شيخه ابن ناصر (عبد الرحمن) قال ابن القطيعي "(وحكى لي انه كان يسمى (المبارك) الى سنة عشرين وخمسمائة قال " وسماني وأخواي شيخنا ابن ناصر " عبد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد الرزاق ، وانما كنا نعرف بالكنى . (٢)

ب ـ لقبه : وقد لقب أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (بالجوزى) نسبة الى لقب جده (جعفر بن عبد الله) ، فهو الذى لقب بالجوزى ، ثم توارث بنوه هذا اللقب ، واشتهر به أبو الفرج ، وعرف به .

وقد اختلف في هذه النسبة على عدة أقوال :

١ ـ قال المنذرى وغيره : هو نسبة الى موضع يقال له : (فرضة الجوزى) (٣)

٢ ـ وذكر الذهبي " أن جدهم عرف بالجوزى نسبة لشجرة جوز كانت في داره بواسط ، ولم يكن بواسط جوزة سواها (٤)

---

(١) أبو المظفر " مرآة الزمان ٨/ ٤٨١ ، ابن كثير " البداية والنهاية ١٣/ ٢٨ ابن خلكان " وفيات الأعيان ٢/ ٣٢١ ، وابن رجب " ذيل الطبقات ١/ ٣٩٩ ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ هـ ، ١٩٥٢م

(٢) ابن رجب " ذيل الطبقات ١/ ٤٠٠

(٣) الخوانسارى " روضات الجنات ٣/ ٤١٠ الطبعة الثانية ، وابن رجب " ذيل الطبقات ١/ ٤٠٠

(٤) الذهبي " تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٤٢ . الطبعة الثالثة .

٣ ـ وقال أبو المظفر (سبط ابن الجوزى) " وجعفر الجوزى ، منسوب الى فرضة من فرض البصرة يقال لها " جوزة • (١)

٤ ـ ونقل صاحب شذرات الذهب عن ابن الجوزى نفسه أنه منسوب الى محلة بالبصرة تسمى محلة الجـــوز • (٢)

وبعد هذه النبذة عن نسبه ولقبه ، وما دار حول هذه النسبة (الجوزى) من الخلاف ، نتكلم على تاريخ مـــولـــده الذى لايخلو هو ـ كذلك ـ من خلاف كبـير بين العلماء ، حول تحديد السنة التى ولد فيها ، ولعل السبب في عدم معرفـــة تاريخ الميلاد بالضبط هو عدم عناية الشعوب القديمة بكتابة شهادات الميلاد وتدوين تاريخ المولود حين ولادتـه ، سواء أكانوا أغنياء أو فقراء ، وكان منهم عالمنا (ابن الجوزى)•

ح ـ مـولـــده " لـم يصـل العلماء الى معرفـة تاريخ ولادة ابن الجوزى على التحديد ، وكل بحث مهما بلغ لن يؤدى الى نتيجـة مؤكـدة ، لاسيما وأن ابـــن الجوزى نفسه لايعرف السنة التى ولـد فيها ، فقد ذكر أبو المظفـــر (سبط ابن الجوزى) أن ابن الدبيثي سأله عن مولده غير مرة ، وفي كلها يقول " ما أحققـه ، ولكن يكون تقريبا في سنة ٥١٠ هـ (٣)

فلم يكن غريبا بعد هذا أن يقول ابن خلكان عند ذكر ولادة ابن الجوزى (٤) " وكانت ولادته بطريق التقريب سنة ثمان ، وقيل عشر وخمسمائة وبـهـذا التاريخ (سنة ٥١٠) قال ابن الاثير ، وابن كثير وغيرهما • (٥) غير أن هذا التاريخ لم يكن الا تقريبا • اذ ذكر ابن رجب أنه وجـــد بخط ابن الجوزى أنه قال " (لا أحقق مولدى ، غير أنه مات والدى فـي سنة أربع عشرة ، وقالت الوالدة " كان لك من العمر ثلاث سنين) •

---

(١) أبو المظفر " مرآة الزمان ٨/ ٤٨١ الطبعة الاولى سنة ١٣٧٠هـ ، ١٩٥١ م

(٢) ابن العماد الحنبلي " شذرات الذهب ٤/ ٣٣٠

(٣) أبو المظفر " مرآة الزمان ٨/ ٤٨٣ •

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٣٢٢

(٥) الكامل ١٢ / ١٧١ ، والبداية ١٣/ ٢٨

قال ابن رجب "(فعلى هذا يكون مولده سنة احدى عشرة أو اثنتى عشرة)٠
وقال ابن القطيعي " سألته (أى ابن الجوزى) عن مولده فقال "(ما أحق الوقت الا أننى أعلم أني احتلمت في سنة وفاة شيخنا ابن (الزاغوني) وكانت وفاة ابن الزاغوني سنة ٥٢٧ هـ قال ابن رجب" وهذا يؤذن أن مولده بعد العشرة٠
وقال ابن رجب " (ووجد بخطه تصنيف في الوعظ ذكر " أنه صنف سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وقال " ولي من العمر سبع عشرة سنة) (١)
ومن عرض هذه الأقوال السابقة ، يمكننا ان تستنتج أن هناك أربعة أقوال " —

الأول " قول ابن الجوزى" أنه ولد سنة ٥١٠ تقريبا ٠

الثاني " قول والدته " أن والده مات سنة ٥١٤ هـ وله من العمر ثلاث سنين فيكون مولده سنة ٥١١ هـ تقريبا ٠

الثالث " القول الثاني لابن الجوزى الذى ذكره ابن رجب ، أنه احتلم سنة وفاة ابن الزاغوني سنة ٥٢٧ هـ ، فيكون مولده سنة ٥١٢ هـ

الرابع " قول ابن الجوزى " أنه صنف كتاب الوعظ ٥٢٨ هـ وله من العمر سبع عشرة سنة فيكون مولده سنة ٥١١ هـ

وبناء على ما تقدم يمكننا ان نقول " ان ولادة ابن الجوزى تنحصر فيما بين سنتي ٥١٠ ، ٥١٢ هـ

أما مكان مولده ، فكان في بغداد بدرب حبيب ٠ (٢)

د — وفاته " وأما وفاته فلم يختلف العلماء في تاريخها ٠

" قال ابن كثير " وكانت وفاته ليلة الجمعة بين العشائين ، الثاني عشر من رمضان من سنة ٥٩٧ هـ وله من العمر سبع وثمانون سنة ، وحملت جنازته على رؤوس الناس وكان الجمع كثيرا جدا ، ودفن بباب حرب عند أبيه ، بالقرب من الامام أحمد ، وكان يوما مشهودا ، حتى قيل انه أفطر جماعة من الناس من كثرة الزحام ، وشدة الحر ٠ (٣)

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ١ / ٤٠٠ (٢) المرجع السابق ومرآة الزمان ٨ / ٤٨١ (٣) البداية والنهاية ١٣ / ٢٩ — ٣٠ مطبعة السعادة

ثانيا " نشأته العلمية"

أ .

نشأ ابن الجوزي يتيما ، فقد توفي والده سنة أربع عشرة وخمسمائة ، وله من العمر ثلاث سنين ، وانصرفت عنه والدته بعد وفاة أبيه ، وكانت له عمة صالحة ، قامت على تربيته ورعايته ، فلما ترعرع حملته الى مسجد أبي الفضل ابن ناصر الذي قال عنه ابن الجوزي" (هو الذي تولى تسميعي الحديث ، فسمعت سند الامام احمد بن حنبل بقراءته ، وغيره من الكتب الكبار والأجزاء العوالي على الأشياخ ، وكان يثبت لي ما أسمع .)(١)

ونقل ابن رجب عن ابن الجوزي أنه قال في أول مشيخته "(حملني شيخنا ابن ناصر الى الأشياخ في الصغر وأسمعني العوالي ، وأثبت سماعاتي كلها بخطه ، وأخذ لي اجازات منهم ، فلما فهمت الطلب كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم ، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم ، فكانت همتي تجويد العدد لاتكثير العَدد ، ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخي ، ذكرت من كل واحد منهم حديثا) .

قال ابن رجب " ثم ذكر في هذه المشيخة له سبعة وثمانين شيخا .(٢)

وقال ابو المظفر (سبط ابن الجوزي) "(وقرأ القرآن وتفقه على أبي بكر الدينوري الحنبلي وابن الفراء ، وسمع الحديث الكثير ، وقد ذكر من مشايخه في المشيخة نيفا وثمانين شيخا ، وعني بأمره شيخه ابن الزاغوني ، وعلمه الوعظ واشتغل بفنون العلم ، وأخذ اللغة من أبي منصور الجواليقي ، ... وكان — ابن الجوزي — يختم القرآن في كل سبعة أيام ولا يخرج من بيته

---

(١) ابن الجوزي " المنتظم ١٠/ ١٦٣ . حوادث سنة ٥٠٠هـ

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٤٠١/١

م/ب

الا الى الجامع للجمعة والمجلس، وما مازح أحدا ولا لعب مع صبي ولا أكل من جهة حتى يتيقن حلها ، وما زال على ذلك الأسلوب حتى توفاه الله تعالى) (١)

(وحضر مجالسه الخلفاء ، والوزراء ، والعلماء ، والأعيان ، والفقراء ، ومن سائر صنوف بني آدم وأقل ما كان يجتمع في مجلس وعظه عشرة آلاف ، وربما اجتمع فيه مائة ألف أو يزيدون ، وأوقع الله له في القلوب القبول والهيبة ، وكان زاهدا في الدنيا ، متقللا منها) (٢)

وقال أبو المظفر (سبط ابن الجوزى) " (وسمعته يقول على المنبر في آخر عمره " (وكتبت بأصبعي هاتين ألفي مجلدة ، وتاب على يدى مائة ألف ، وأسلم على يدى ألف يهودى ونصراني) (٣)

وقد كان ابن الجوزى — رحمه الله — يتمتع بهمة عالية في طلب العلم مما جعله يتحمل الشدائد التى كانت تصادفه في طريقه ، وخير من يحدثنا عن ذلك هو ابن الجوزى نفسه حيث يقول " (ولقد كنت في حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندى أحلى من العسل ، لأجل ما أطلب وأرجو ، كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة ، فأخرج في طلب الحديث ، وأقعد على نهر عيسى ، فلا أقدر على أكلها الا عند الماء ، فكلما أكلت لقمة شربت عليها ، وعين همتى لا ترى الا لذة تحصيل العلم (٤)

ولعل هذه الحالة البائسة — التى وصفها لنا ابن الجوزى — والصعاب التى كانت تواجهه — بالرغم من أن والده كان موسرا — كانت نتيجة لفقده والده في الصغر ، والذى صار ماله من بعده الى الأوصياء يبددونه كيف شاءوا !! .

يقول ابن الجوزى يخاطب ولده " (واعلم يابنى أن أبي كان موسرا ، وخلف لي ألوفا من المال ، فلما بلغت دفعوا ألى عشرين دينارا ودارين ، وقالوا " هذه هي التركة كلها !! فأخذت الدنانير ، واشتريت بها كتبا من كتب العلم ، وبعت الدارين وأنفقت ثمنها في طلب العلم ولم يبق لي شيء من المال) (٥).

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٤٨١ .
(٢) أبو المظفر " مرآة الزمان ٨/ ٤٨٢ . وابن كثير " البداية والنهاية ١٣/ ٢٩
(٣) ابو المظفر " = = ٨/ ٤٨٢ .
(٤) ابن الجوزى " صيد الخاطر فصل ١٦٧
(٥) ابن الجوزى " لفتة الكبد ص١٢ عن " الخولي " ابن الجوزى الواعظ ٦٤ .

ومع ذلك فان نفاد المال وقلته لم يضعف همة ابن الجوزى ، ولم يفت في عضده بل واصل السير فيما دفعته اليه همته الوثابة نحو طلب العلم ، بنفس مطمئنة كريمة ، لم تذله الفاقة لأحد مهما بلغت منزلته ، طالما أن الذى يطلبه هو غالى ونفيس ، يرفع صاحبه ويعلي مكانه .

يقول ابن الجوزى في هذا الصدد ، مخاطبا ولده في أحد مؤلفاته " (وما ذل أبوك في طلب العلم ، ولا خرج يطوف في البلدان كغيره من الوعاظ ولا بعث رقعة الى احد يطلب منه شيئا ، وأموره تجرى على السداد) (١)

ثالثا " مشايخه "

قضى ابن الجوزى — رحمه الله — حياته في طلب العلم منذ الصغر مبتدءا الطلب بحفظ القرآن الكريم وتدرج بعد ذلك في سائر العلوم ، مما جعله يتنقل بين كثير من العلماء لينهل من علمهم ، ويستفيد من دروسهم ، وقد عنى ابن الجوزى بشيوخه الذين تتلمذ عليهم ، واهتم بهم الى درجة أنه أفرد لهم مؤلفا خاصا من مؤلفاته سماه " المشيخة ، وقد ذكر من شيوخه في هذا المؤلف " سبعة وثمانون شيخا سجل لكل شيخ منهم حديثا . (٢) قال ابن الجوزى في هذا الصدد " (ولما رأيت من اصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخي ، ذكرت عن كل واحد منهم حديثا) (٣)

ولسنا بصدد تعداد مشايخ ابن الجوزى جميعا وذكر ما قيل عن مناقبهم ولكننا سنذكر في هذا الموضع أمثلة خاصة ، وذلك بالترجمة لبعض مشايخ ابن الجوزى ، وسأبدأ بذكر أول شيخ باشر التدريس لابن الجوزى وهو"

---

(١) ابن الجوزى " لفتة الكبد ص ١٠ عن الخولي " ابن الجوزى الواعظ ص ٦٥

(٢) ابن رجب ذيل الطبقات ١/ ٤٠١ ، أبو المظفر " مرآة الزمان ٨/ ٤٨١

(٣) ابن رجب ذيل الطبقات ١/ ٤٠١ .

١ — أبو الفضل ابن ناصر "

محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي ، الفارسي الأصل ، ثم البغدادي ، الأديب اللغوي ، ابن أبي منصور . ولد سنة ٤٦٧ هـ وتوفي سنة ٥٥٠ هـ (١)

قال ابن الجوزي " (كان كثير الذكر ، سريع الدمعة ، حافظا ، ضابطا ، متقنا ، ثقة من أهل السنة لا مغمز فيه) (٢)

وقال ابن السمعاني في وصف ابن ناصر " (حافظ ثقة ، دين خير ، متقن مثبت ، وله حظ كامل من اللغة ، ومعرفة تامة في المتون والأسانيد ، كثير الصلاة ، دائم التلاوة للقرآن الكريم ، مواظب على صلاة الضحى) (٣) .

وقد طالت ملازمة ابن الجوزي للشيخ ابن ناصر ، واستفاد منه فائدة عظيمة .

يقول ابن الجوزي " (وهو الذي تولى تسميعي الحديث وعنه أخذت ما أخذت من علم الحديث ، قرأت عليه ثلاثين سنة ، ولم استفد من أحد كاستفادتي منه) (٤)

وقد استمر ابن الجوزي في الاستفادة من شيخه " ابن ناصر ، حتى بعد بلوغه سن الثلاثين من عمره ، فقد ذكر ابن رجب " أن ابن الجوزي لما صنف كتاب (التلقيح) وله من العمر ثلاثون سنة عرضه على ابن ناصر فكتب عليه " (قرأ عليّ هذا الكتاب جامعه الشيخ الامام العالم الزاهد أبو الفرج ، فوجدته قد أجاد تصنيفه ، وأحسن تأليفه وجمعه ، ولم يسبق الى مثل هذا الجمع ، فقد طالع كتبا كثيرة ، وأخذ احسن ما فيها من الياقوت واللؤلؤ ، فنظمه عقدا زان به التصانيف التي تجمعت من التواريخ ،

---

(١) ذيل الطبقات ١/٤٠١
(٢) المنتظم حوادث سنة ٥٥٠ هـ
(٣) ابن رجب " ذيل الطبقات ١/٢٢٦ — ٢٢٧
(٤) ابن الجوزي " المنتظم حوادث سنة ٥٥٠

ومعرفة الصحابة واسمائهم ، وكناهم وأعمارهم ، وأبان عن فهم وعلم غزير ، مع اختصار يحض على الحفظ والعمل بالعلم فنفعه الله بعلمه ، ونفع به ، وبلغه غاية العمر ، لينفع المسلمين ، وينصر السنة وأهلها ، ويدحض البدع وحزبها) •

وقال ابن الجوزى "(ولقد كنت أرد أشياء على شيخنا أبي الفضل ابن ناصر ، فيقبلها مني) (١)

وقد نقل (ابن رجب) " أن الشيخ ابن ناصر ،كان شافعيا أشعريا ، ثم انتقل الى مذهب أحمد في الأصول والفروع ، ومات عليه • (٢)

وعلى الرغم من هذا ، ومن ملازمة الشيخ ابن الجوزى له منذ الصغر فان تأثير ابن ناصر عليه من ناحية الأصول كان سلبيا ، بالرغم من ادعاء ابن الجوزى متابعة الامام أحمد ، إذ أنه متهم بالتأويل على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى •

٢ـ (أبو الحسن بن الزاغوني) "

على بن عبد الله بن نصر بن السرى ، بن الزاغوني (٣) ، البغدادى ، الفقيه المحدث ، الواعظ، ولد سنة ٤٥٥ ، وتوفي سنة ٥٢٧ هـ (٤) •

وقد تتلمذ عليه ابن الجوزى منذ الصغر ـ كذلك ـ يقول ابن الجوزى في وصف ابن الزاغوني "(كان صالحا خيرا ، وهو أول من لقنني القرآن وأنا طفل) (٥)

وقال ابن الجوزى عنه ـ أيضا ـ (كان له في كل فن حظ وافر ، ووعظ مدة طويلة ، وصحبته زمانا ، فسمعت منه الحديث ، وعلقت عنه من الفقه والوعظ، وكانت له حلقة بجامع المنصور يناظر فيها يوم الجمعة قبل الصلاة ، ثم يعظ بعد الصلاة ، ويجلس يوم السبت أيضا) (٦)

وقد كان ابن الزاغوني "(ثقة ، صدوقا ، صحيح السماع وكان فقيه الوقت مشهورا بالصلاح والديانة والورع والصيانة) (٧)

---

(١) ابن رجب " ذيل الطبقات ١ / ٤١٥ (٢) المرجع السابق ١ / ٢٢٦ (٣) العليمي " المنهج الأحمد ٢ / ٢٣٨ الطبعة الاولى سنة ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م
(٤) ابن رجب " ذيل الطبقات ١ / ١٨٠ •
(٥) ابن الجوزى "المنتظم ٩ / ٢٠٢ (٦) ابن الجوزى "المنتظم حوادث ٥٢٧ هـ (٧) العليمي "المنهج الاحمد ٢ / ٢٣٩ ـ

٣ـ (عبد الوهاب الأنماطي)"

عبد الوهاب بن مبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطي ، أبو البركات ، الحافظ. ولد سنة ٤٦٢هـ وتوفي سنة ٣٨ هـ

تتلمذ عليه ابن الجوزى ، وقال في وصفه "(كان ذا دين وورع ، وكان قد نصب نفسه للحديث طول النهار ، وسمع الكثير من خلق كثير ، وكتب بيده الكثير ، وكان صحيح السماع ، ثقة ثبتا ، وكنت أقرأ عليه الحديث وهو يبكي ، فاستفدت ببكائه أكثر من استفادتي بروايته ، وكان على طريقة السلف وانتفعت به مالم أنتفع بغيره)(١)

وقال ابن الجوزى عنه في موضع آخر "(وما عرفنا من مشايخنا اكثر سماعا منه ، ولا أكثر كتابة للحديث، ولا أصبر على الإقراء ، ولا أحسن بشرا ولقاء ، ولا أسرع دمعة ، ولا أكثر بكاء ، ولقد كنت أقرأ عليه الحديث في زمن الصبا ولم أذق بعد طعم العلم فكان يبكي بكاء متصلا ، وكان ذلك البكاء يعمل في قلبي ، وأقول " ما يبكي هذا هكذا الا لامر عظيم ، فاستفدت ببكائه ما لم استفد بروايته ، وكان مجلسه منزها عن غيبة الناس، وكان رضي الله عنه على طريقة السلف ، وكنا ننتظره من يوم الجمعة ليأتي من داره بنهر القلائين الى جامع المنصور ، فلا يأتي على قنطرة باب البصرة ، وانما يمر على القنطرة العتيقة ، فسألته عن سبب هذا ؟ فقال " كانت تلك دار ابن معروف القاضي ، فلما قبض عليه بنيت قنطرة ، قال "(عبد الوهاب الانماطي) ـ وحدثنا أبو محمد التميمي عنه أنه أحل من يصبر عليها غير أني لا أفعل .)

---

(١) ابن الجوزى " المنتظم ١٠ / ١٠٨ حوادث سنة ٣٨ هـ الطبعة الأولى .

قال ابن الجوزى "(ومدته في مرضه وقد بلي وذهب لحمه ، فقال لي ان الله تعالى لايتهم في قضائه)(١)

وقال ابن الجوزى في موضع آخر "(ولقيت عبد الوهاب الأنماطي ، فكان على قانون السلف لم يسمع في مجلسه غيبة ، ولاكان يطلب أجرا على سماع الحديث ، وكنت اذا قرأت عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكاؤه ، فكان — وأنا صغير السن — يعمل بكاؤه في قلبي ويبنى قواعد الأدب في نفسي ، وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النقل)(٢)

وقال ابن الجوزى في وصفه ووصف شيخه الجواليقي "(فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما ، ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول .)(٣)

٤ — (أبو منصور الجواليقي) "

موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن بن محمد الجواليقي ، شيخ أهل اللغة في عصره ، ولد سنة ٤٦٥هـ ، وقيل ٤٦٦ هـ وتوفي سنة ٥٤٠هـ (٤)

قال ابن الجوزى في وصفه "(ولقيت الشيخ أبا منصور الجواليقي ، فكان كثير الصمت ، شديد التحرى فيما يقول ، متقنا محققا ، وربما سئل عن المسألة الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه فيتوقف فيها حتى يتيقن .

---

(١) ابن الجوزى " صفة الصفوة ٢/ ٢٨١ الطبعة الأولى

(٢) ابن الجوزى " صيد الخاطر فصل ٩٤

(٣) المرجع السابق فصل ٩٤

(٤) ابن رجب " ذيل الطبقات ١/ ٢٠٤ — ٢٠٦

م/ب

وكان كثير الصوم والصمت ، فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما ، ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول • (١)
وابن الجوزي يعني بالرجلين " عبدالوهاب الأنماطي ، والجواليقي ـ كما سبق بيانه ـ اللذين أبدى اعجابه بهما ، وشدة تأثره بسماعه منهما •
وكلماته التي وصف فيها هذين الشيخين تدل على مدى ذلك الأثر العظيم الذي تركه فيه مجالسته لهما ، والاستفادة من علمهما وسلوكهما •

هـ (أبو بكر الدينوري) "

أحمد بن محمد بن احمد الدينوري البغدادي ، الفقيه الامام أبو بكر بن أبي الفتح ، برع في الفقه وتقدم في المناظرة على ابناء جنسه حتى كان أسعد الميهني شيخ الشافعية يقول "
ما اعترض أبو بكر الدينوري على دليل أحد الا ثلم فيه ثلمة(٢)
وأبو بكر الدينوري ، أحد شيوخ ابن الجوزي الذين درس علمهم وتأثر بهم ، اذ كان الشيخ ابو بكر يحث ابن الجوزي على طلب العلم والسهر في سبيل تحصيله • قال ابن الجوزي " (حضرت درسه بعد موت شيخنا ابن الزاغوني نحوا من أربع سنين قال " وأنشدني "

تمنيت أن تمسى فقيها مناظرا بغير عناء والجنون فنون
وليس اكتساب المال دون مشقة تلقيتها فالعلم كيف يكون ؟

---

(١) ابن الجوزي " صيد الخاطر فصل ٩٤
(٢) ابن رجب " ذيل الطبقات ١ / ١٩٠ ، والعليمي " المنهج الأحمد ٢/ ٢٤٥

م/ب

وقال ابن الجوزى" كان يرق عند ذكر الصالحين ويبكي ويقول " للعلماء عند الله قدر ، فلعل الله أن يجعلنى منهم • (١)

وقال ابن الجوزى في موضع آخر " كان زاهدا حسن المعشر كما ذكر ان أبا الحسن القزوينى قال "

(عبر الدينورى قنطرة سبق من بعدها وراءه) (٢)

وقد توفي الشيخ أبو بكر الدينورى سنة ٥٣٢ هـ • (٣)

٦ـ (أبو حكيم النهرواني "

ابراهيم بن دينار بن احمد بن الحسين بن حامد بن ابراهيم النهرواني الرزاز ، الفقيه ، الفرضي الزاهد •

ولد سنة ٤٨٠ هـ وتوفي سنة ٥٥٦ هـ •

وكانت له مدرسة بناها بباب الأزج ، وكان يدرس ويقيم بها ، وفي آخر عمره فوضت اليه المدرسة التى بناها ابن الشمول بالمأمونية ، ودرس بها ، وقرأ عليه العلم خلق كثير ، وانتفعوا به • (٤)

تتلمذ عليه ابن الجوزى ، واستفاد منه ، قال ابن الجوزى" (قرأت عليه القرآن والمذهب والفرائض ، وكان زاهدا عابدا كثير الصوم يضرب به المثل في الحكم والتواضع ، وكان من العلماء العاملين بالعلم ، كثير الصيام والتعبد ، شديد التواضع ، مؤثرا للخمول ، وكان المثل يضرب بحلمه وتواضعه ، وما رأينا له نظيرا في ذلك) (٥)

وقال ابن القطيعي " سمعت ابن الجوزى يقول "

(كان الشيخ ابو حكيم تاليا للقرآن ، يقوم الليل ، ويصوم النهار ، ويعرف المذهب والمناظرة وله الورع العظيم ، فاذا خاط ثوبا فأعطى الأجرة — مثلا — قيراطا أخذ منه بعضه ورد الباقي وقال " خياطتى لاتساوى أكثر من هذا ، ولا يقبل من احد شيئا) (٦)

---

(١) ابن الجوزى" المنتظم ١٠/ ٧٣، وابن رجب ذيل الطبقات ١/ ١٩٠ ـ ١٩١ والعليمي " المنهج الاحمد ٢/ ٢٤٥

(٢) صفوة الصفوة ٢/ ٢٧٧ (٣) ابن رجب " ذيل الطبقات ١/ ١٩١ ، والعليمي " المنهج الاحمد ٢/ ٢٤٥

(٤) ابن رجب " ذيل الطبقات ١/ ٢٣٩ (٥) المرجع السابق ١/ ٢٣٩

(٦) ابن رجب" ذيل الطبقات ١/ ٢٣٩

ولم يكن هؤلاء المذكورون كل مشايخ ابن الجوزى ، بل إنه قد ذكر أن مشايخه قد بلغوا سبعة وثمانين شيخا ، كما قال ذلك في كتابه المشيخة ، وسأذكر زيادة على من تقدم الكلام عنهم ، هؤلاء الشيوخ ، ولكن مع الاختصار "

١- عبد الله بن علي بن احمد بن عبد الله البغدادى المقرئ والذى ولد سنة ٤٦٤هـ ذكر ابن رجب أن ابن الجوزى سمع منه الحديث . (١)

٢- يحي بن الحسن بن احمد بن عبد الله بن البناء ، أبو عبد الله ، ولد سنة ٤٥٣ هـ وتوفي سنة ٥٣١هـ .

ذكر ابن رجب " أن ابن الجوزى ممن روى عنه (٢) (أى تتلمذ عليه) .

٣- هبة الله بن احمد بن عمر الحريرى ، ولد سنة ٤٣٥ هـ وتوفي سنة ٥٣١هـ وهو الذى علم ابن الجوزى القراءات ، وأقرأه القرآن ، كما سمع عليه الحديث ، قال عنه في المنتظم " (قرأ القرآن بالروايات ، وحدث وأقرأ) .
كما وصفه بقوله " (كان صحيح السماع ، قوى الدين ، ثبتا ، كثير الذكر ، دائم التلاوة ، قرأت عليه ، وكانت قوته حسنة) (٣)

٤- محمد بن عبد الملك بن الحسن بن ابراهيم بن خيرون ، ولد سنة ٤٤٤ هـ وتوفي سنة ٥٣٩هـ .

قال ابن الجوزى " سمعت عليه الكثير ، وقرأت عليه ، وكان ثقة ، وكان سماعه صحيحا . (٤)

هؤلاء الشيوخ — ومن سبق الكلام عنهم تفصيلا — نماذج فقط ممن تتلمذ عليهم الشيخ ابن الجوزى ، وقد ذكر وصفا عاما للشيوخ الذين التقى بهم ، سواء من استفاد منهم أو لم يستفد وذلك حيث يقول فيهم "

(لقيت مشايخ ، احوالهم مختلفة ، يتفاوتون في مقاديرهم في العلم ، وكان أنفعهم لي في صحبته ، العامل منهم بعلمه ، وان كان غيره أعلم منه .

ولقيت جماعة من علماء الحديث ، يحفظون ويعرفون ولكنهم كانوا يتسامحون بغيبة يخرجونها مخرج جرح وتعديل ، ويأخذون على قراءة الحديث أجرة ، ويسرعون بالجواب لئلا ينكسر الجاه وان وقع الخطأ .

---

(١) ابن رجب " ذيل الطبقات ١ / ٢٠٩ (٢) المرجع السابق ١ / ١٨٩
(٣) ابن الجوزى " المنتظم ١٠ / ٧١ (٤) ابن الجوزى " المنتظم حوادث سنة ٥٣٩

م/ب

ولقيت عبد الوهاب الأنماطي ، فكان على قانون السلف ، لم يسمع في مجلسه غيبــــة ، ولا كان يطلب أجرا على سماع الحديث ، وكنت اذا اقرأت عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكاؤه فكان — وأنا صغير السن حينئذ — يعمل بكاؤه في قلبي ، ويبنى قواعد الأدب في نفسي ، وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النقل •

ولقيت الشيخ أبا منصور الجواليقي ، فكان كثير الصمت ، شديد التحرى فيما يقول ، متقنا ، محققا ، وربما سئل المسألة الظاهرة التى يبادر بجوابها بعض غلمانه فيتوقف فيها حتى يتيقن •

وكان كثير الصوم والصمت ، فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما ، ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول •

ورأيت مشايخ ، كانت لهم خلوات في انبساط ومزاح ، فراحوا عن القلوب ، وبدد تفريطهم ما جمعوا من العلم ، فقل الانتفاع بهم في حياتهم ، ونسوا بعد مماتهم ، فلا يكاد أحد أن يلتفت الى مصنفاتهم) (١)

وبعد ما ذكرناه من التعريف ببعض مشايخ ابن الجوزى الذين تتلمذ عليهم ، وأخذ منهم ، ننتقل الى الكلام عن بعض مؤلفاته فنقول "

رابعا " مؤلفات ابن الجوزى "

لقد كثر الكلام حول مؤلفات ابن الجوزى وعددها ، فابن الجوزى نفسه يذكر أن مؤلفاته بلغت مائتين وخمسين مصنفا • يقول ابن الجوزى "(وقد بلغت مصنفاتي مائتين وخمسين مصنفا) (٢) في حين أن سبطه أبا المظفر قال " (وسمعته يقول في آخر عمره " كتبت بأصبعي هاتين ألفي مجلدة) (٣)

---

(١) ابن الجوزى " صيد الخاطر فصل ٩٤

(٢) ابن الجوزى " دفع شبهة التشبيه ص٥ مطبعة الترقي ١٣٤٥ هـ ومقدمة المذهب الأشهب لابن الجوزى " مخطوط ، معهد المخطوطات جامعة الدول العربية بالقاهرة •

(٣) أبو المظفر " مرآة الزمان ٨ / ٤٨٢ طبعة حيدر أباد •

وأرى أنه لاتعارض بين القولين ، اذ أن المصنف أعم من المجلد ، كما ذكر ابن رجب " أن الامام أبا العباس ابن تيمية قال " (كان الشيخ أبو الفرج مفتيا كثير التصنيف والتأليف ، وله مصنفات في أمور كثيرة حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنف ورأيت بعد ذلك له مالم أره)(١)

ولعل ابن تيمية يريد ألف مجلد حتى لايكون هناك أى تعارض بين الأقوال ، لاسيما أن القولين الأولين كلاهما لابن الجوزى نفسه وهو صاحب الشأن في هذا الموضوع ، وفي قوله فصل الخلاف •

هذا وقد قام بعض العلماء بكتابة مؤلفات ابن الجوزى ، وجمعها في مؤلفات خاصة ، ومستقلة عن كتب التراجم والتواريخ ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر "

١ــ رسالة في التعريف بابن الجوزى وأسماء مؤلفاته ، وذكر ما طبع منها ، والاشارة الى ما يوجد منها في المكتبات العامة ، وقد قام بجمعها الأستاذ (أحمد/محمد شاكر) وتم طبعها حوالي عام " ١٣٤٥ هـ ، ١٩٢٧ م (٢)

٢ــ قام الاستاذ " عبد الحميد العلوجي بتأليف كتاب عن مؤلفات ابن الجوزى •

وسأذكر هنا بعض مؤلفات ابن الجوزى على سبيل المثال لا الحصر ، وسأخص بعض المخطوطات منها بشئ من التفصيل ، لعل ذلك يكون حافزا لبعض المشتغلين بالعلم ، على نشر هذه المؤلفات النافعة فأقول "

أولا " المطبوعات"

١ــ الأذكياء •

٢ــ بستان الواعظين ورياض السامعين •

٣ــ دفع شبهة التشبيه والرد على المجسمة ممن ينتحل مذهب الامام أحمد رضي الله عنه •

٤ــ ذم الهوى •

٥ــ الروح •

---

(١) ابن رجب " ذيل الطبقات ١/ ٤١٥

(٢) ابن الجوزى " مقدمة ذم الهوى ص ج

م/ب

٦ـ زاد المسير في علم التفسير •

٧ـ سيرة عمر بن عبد العزيز •

٨ـ صفة الصفوة •

٩ـ صيد الخاطر •

١٠ـ لفتة الكبد الى نصيحة الولد •

١١ـ المدهش في المحاضرات •

١٢ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم •

ثانيا " المخطوطات"

١ـ (الأرج في الوعظ)

معهد المخطوطات / جامعة الدول العربية برقم ٢٠ تصوف

٢ـ الانصاف في مسائل الخلاف •

٣ـ (ايقاظ الوسنان)

قسم المخطوطات بجامعة الرياض الرقم العام (١٢١٣) ومعهد المخطوطات جامعة الدول العربية برقم (٥٧)

٤ـ (البازى الأشهب المنقض على مخالفي المذهب)

جامعة الدول العربية برقم (٤٤) توحيد •

٥ـ (البلغة)

٦ـ (تبصرة المبتدى وتذكرة المنتهي)

جامعة الرياض الرقم العام (١٥٣٠)

٧ـ (تجريد التوحيد المفيد)

دار الكتب المصرية برقم (١١٧٠)، وجامعة الدول العربية برقم (٦١)

٨ـ (تحفة الواعظ ونزهة الملاحظ)

جامعة الدول العربية ، برقم (٩٣)

٩ـ التحقيق في أحاديث التعليق)

مكتبة الرياض السعودية / بالرياض / برقم $\frac{٣٨٢}{٨٦}$

قال ابن الجوزى " ... وبعد فهذا كتاب نذكر فيه مذهبنا في مسائل الخلاف ، ومذهب المخالف ، ونكشف عن دليل المذهبين من النقل كشف مناصف ، لاتحيل لنا ولا علينا فيما نقول ، ولا نجازف ، وسيحمدنا المطلع عليه ان كان منصفا ... الخ ، وكان السبب في اثارة العزم لتصنيف هذا الكتاب أن جماعة من اخواني ومشايخي في الفقه كانوا يسألوني من زمن الصبا جمع أحاديث التعليق ، وبيان ماصح منها وما طعن فيه ... الخ أ ٠ هـ من مقدمته ٠

وقد بدأ الكتاب بكتاب الطهارة ، والكتاب يقع في ٤٠٥ صفحات ٠

١٠ ــ (التحقيق في أحاديث الخلاف)

دار الكتب المصرية ، برقم (٢٣٩٤٨)(ب)

١١ ــ (تذكـــرة الأريـب)

١٢ ــ تيسير الوصول الى جامع الأصـول من حديث الرسول)

مكتبة الرياض السعودية برقم $\frac{٣٨١}{٨٦}$

وهذا الكتاب كان في الأصل باسم (جامع الأصول من حديث الرسول) وقد ألفه العلامة مجد الدين أبو السعادات بن الأثير ، فجمع فيه أحاديث الاصول الستة المشهورة ، صحيحي البخارى ومسلم ، موطأ مالك ، سنن أبي داود ، جامع الترمذى ، سنن النسائي ٠

وقد اختصره في نحو ربع حجمه القاضي شرف الدين هبة الله بن البارزى ، قاضي حماة في كتاب سماه (تجريد الأصول من حديث الرسول) ٠

قال ابن الجوزى " وقد نظرت في كل من الجامع وتجريده ، وشاهدت حسن وضع كل منهما وتمهيده ، فرأيت كلا من مؤلفيهما قد رقم اسم الصحابي الراوى للحديث في حاشية الكتاب ، ورمز عليه لمن أخرجه من الستة برموز اختلطت واختبطت على أكثر الكتاب ، فحصل منها التقديم والتأخير ، والنقصان ، والتكرير ، حتى كثر في ذلك العناء ، ولم يحصل لأكثر الطلاب به غناء ٠ فعزمت بعد استخارة الله تعالى ، على تيسيره للمتفقهين ، وتحبيره للمستمعين ، رغبة في احياء السنة النبوية ... وصدرت كل حديث منه باسم صحابيه الذى رواه ، وختمته بمن خرجه من الأئمة الستة ... ، وسميته " (تيسير الوصول الى جامع الأصول من حديث الرسول) ٠ أ ٠ هـ ٠ ملخصا من المقدمة

والكتاب في ٧١٣ صفحة ، وقد انتهى منه كاتبه في عشية يوم الاثنين الحادى عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١١٢٥ هـ

غنى

م /ب

١٣ـ (جامع المسانيـــد)

١٤ـ (جنة النظـر وجنـة الفطـر)

١٥ـ (الحدائق لأهل الحقائق في الموعظة) ٣ أجزاء

دار الكتب المصرية ، برقم (٣٧٧)،

وجامعة الدول العربية برقم (١٢٦)

١٦ـ (رسالة في الناسخ والمنسوخ من الحديث)

جامعة الرياض، الرقم العام (١٤٩٩)

١٧ـ (شرح مشكل الصحيحين)

دار الكتب المصرية ، برقم (٤٩٣)

١٨ـ (العلل المتناهية في الأحاديث الواهية)

مكتبة الرياض السعودية ، برقم ٢٦٠/٨٦

والكتاب نسخة مصورة عن الأصـل ، وقد ذكر كاتبها أنه فرغ منها في الثامن من شهـر ذي القعدة صبح يوم السبت سنة ١٠٩ هـ

ولعل المراد بهذا التاريخ هو سنة ١١٠٩ هـ

قال ابن الجـوزي بعد الحمد والصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) " لما كانت الأحاديث تنقسم الى صحيح لايشك فيه ، وحسن لا بأس به ، وموضوع مقطوع بكذبـه ، ومتزلزل قوى التزلزل •

فأما الصحيح والحسن فقد عرفا ،وأما الموضوع فاني رأيته كثيرا حتى انهم قد وضعوا نسخا طوالا ، وأحاديث مدوا فيها النفس لايخفى وضعها ، وبرودة لفظها ، فهـــي تنطق بأنها موضوعه ، وأن حاشية المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ منزهة عـــن مثلها ، فجمعة الموضوعات المستبشعة في كتاب سميته كتاب" (الموضوعات من الأحاديث المرفوعات)

وقد جمعت في هذا الكتاب الأحاديث الشديدة التزلزل الكثيرة العلل ، ورتبتـــه كتبا على نحو ترتيب كتب الفقـه ، ليسهل المأخذ منه على الطالب • ا٠هـ من المقدمة •

وقد بدأ الكتاب ، بكتاب (التوحيـــــد) ثم كتاب (الايمـــان)

١٩ـ عمـدة الدلائل في مشهور المسائل)

٢٠ـ (غريب الحديـــث)

جامعة الدول العربيـة ، برقم (٣٣٥) حديث

٢١ـ (كتاب رؤوس القواريــــر)

مكتبـة الرياض السعودية ، برقم $\frac{٥٣٣}{٨٦}$

قال ابن الجوزى"

انتخبت هذا ، وقد قسمته أربعة أبواب "

الباب الأول " في ذكر المختار من الخطـب •

الباب الثاني " في تصرف اللغة وموافقة القرآن لها •

الباب الثالث" فيه طرف ، ونتف ، وأسولة •

الباب الرابع " في المتعلق بالوعـظ •

ولما كان أصل هذا الكتاب بالاضافـة الى علوم الوعظ والتحذير ، سميته (برؤوس القوارير) فان الأطباء يأخذون من كل قارورة فيها شراب شيئا فيمزجونه ، فيحدث منه دواء لايحصل من مفـرد ، وهذا منتخب منـه • ا •هـ

وقد كتب على الصفحـة الأولى تحت العنوان العبارة التالية "

هذا كتاب أوله خطب ، وآخره وعـظ ، وفي وسطه علوم شتى جليلة نفيسة ، وهـــو كتاب عديم النظير ، ماله ثمـن ، ولايعرف قدره الا من طالعه وأمعن في معانيـه •

هذا نقل من خط المصنف • ا • هـ كذا على الأصـل •

ويقع الكتاب في ٦٤ صفحـة •

وله نسخة مصورة ضمن مجموعـة بقسم المخطوطات بجامعة الرياض بخط / عبد اللـــه ابن ابراهيم الربيعي سنة ١٣٥٥ هـ

٢٢ـ (كتاب المنثــــور)

جامعة الدول العربيـة برقم (٤٢٥)

٢٣ـ (اللآلـــي)

جامعة الدول العربيـة ، برقم (٤٤٦)

٢٤ـ (اللطـائف في الوعـــــظ)

جامعة الدول العربية ، برقم (٤٤٧)

٢٥ـ (مجالس ابن الجوزى في المتشابه من الآيات القرآنية)

دار الكتب المصرية برقم (١٥٢٣)

وجامعة الدول العربيـة ، برقم (٢١٦) تفسـير .

٢٦ـ (المذهب في المذهـب)

٢٧ـ (مسبوك الـذهـب)

٢٨ـ (مصـراح الرســـو ل)

جامعة الرياض . نسخت سنة ١١١٨ هـ بخط أحمد بن محمـــــد .

٢٩ـ (المــــغنى)

٣٠ـ (المقلـــق)

جامعـة الدول العربيـة ، برقم (٥٠٥) تصـوف .

٣١ـ (ملتقط الحكايـات)

٣٢ـ (مناقب عمر بن الخطـاب)

دار الكتب المصريـــة ، برقم (٧١٩٥) (ح)

٣٣ـ (المنـتخب في التـو ب)

دار الكتب المصرية برقم (٤١٤٤)تصوف.

وجامعة الدول العربيـة برقم (٥١٥)تصـوف .

٣٤ـ (منهاج الوصول الى علم الأصــول) .

٣٥ـ (نزهـة الأعـين النواظــر)

جامعة الدول العربيـة ، برقم (٢٦٦) تفسـير .

٣٦ـ (النطق المفهوم من الصمت المعلوم)

دار الكتب المصرية ، برقم (٢٣٠١٩)(ب)

٣٧ـ (نقي النقـل)

٣٨ـ (نواسـخ القرآن)

جامعة الدول العربيـة ، برقم (٢٨٧) تفسـير .

٣٩ـ (اليا قوتـة في الوعــظ)

جامعة الرياض . نسخت سنة ١٣٥٦ هـ بخط عبدالله الربيعي . الرقم

العام $\frac{١٦٣١}{١}$ أ

((البـــــاب الثـــــاني))

فـــي

((موقف ابـن الجـوزي من قضيـة التـــــأويل) وفيه أربعة فصـول "

الفصل الأول "
في المحكم والمتشابه والتأويل والتفويض، وآراء العلماء في ذلك .

الفصل الثاني"
في الصفات بوجـــــه عـــام .

الفصل الثالث"
في الصفات الخـــبرية .

الفصل الرابع"
مقارنة منهج ابن الجـوزي بمنهج الامام احمـــــد في الصفات الخـــبرية .

((الفصـــــل الأو ل))

((في المحكم والمتشـابه ، والتأويـــل ، والتفويض، وآراء العلماء في ذلك))

للعلماء في المحكم والمتشابه ، والتأويل ، أقوال كثيرة ، وآراء مستفيضة ، والأصل في ذلك قوله تعالى من سورة آل عمران "

((هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأمـا الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب) (١)

وعندما أريد أن أتكلم في هذا الفصل عن المحكم ، والمتشابه ، والتأويل ، والتفويض، وأذكر آراء العلماء في ذلك ، فانني سأتكلم في ذلك بإيجاز ، لأن الاستفاضة في الكلام عن هذا الموضوع تحتاج الى رسالة مستقلة . وسأقسم هذا الفصل الى مباحث "

المبحث الأول "

ورود ألفاظ المحكم والمتشابه في القرآن الكريم .

المبحث الثاني "

معنى المحكم والمتشابه في اللغة ، ثم في اصطلاح العلماء .

المبحث الثالث "

مناقشة الآراء وبيـان الراجـح منهـا .

المبحث الرابع "

في (التأويل) ويتناول الكلام فيه ما يأتي "

أولا " ورود لفظ (التأويل) في القرآن الكريم ، والمعنى المراد به .

ثانيا " معنى (التأويل) في اللغة ، وفي اصطلاح العلماء .

المبحث الخامس "

في (التفويض) وبيان المقصود به عند العلماء .

---

(١) سورة آل عمران آية (٧)

((المبحث الأول))

((ورود ألفاظ المحكم والمتشابه في القرآن الكريم))

لقد وردت ألفاظ المحكم والمتشابه في القرآن الكريم في أكثر من آية ، وبمعان مختلفة ، ذلك أن الله تعالى قد وصف القرآن مرة بأنه كله محكم ، ووصفه بأنه كله متشابه مرة أخرى . ووردت آية سورة آل عمران المتقدمة تبين أن القرآن منه ماهو محكم ، ومنه ما هو متشابه ، واليكم بيان ذلك .

أولا " (القرآن كله محكم) "

لقد ورد وصف القرآن الكريم بأنه كله محكم في آيتين من كتاب الله تعالى ، الأولى في سورة يونس وهي قوله تعالى " (الر تلك آيات الكتاب الحكيم) (١) فان لفظ (الحكيم) هنا بمعنى المحكم ، كما يقول ابن منظور ... فهو فعيل " بمعنى " مُفعَل . (٢)

والآية الثانية التى وصفت القرآن الكريم بأنه كله محكم هي قوله تعالى من سورة هود " (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) (٣)

فما هو المقصود بوصف القرآن الكريم بالاحكام في رأى العلما ؟ ربما تختلف عبارات العلماء ، وتتعدد أقوالهم في هذا الموضوع ، ولكنها تؤدى في النهاية الى معنى واحد تقريبا وهو أن القرآن محكم ، بمعنى " أنه لا اختلاف فيه ، ولا اضطراب ، يصدق بعضه بعضا ، وأنه فصيح الألفاظ ، صحيح المعاني ،

---

(١) سورة يونس آية (١)

(٢) ابن منظور " لسان العرب ١٢ / ١٤١

(٣) سورة هود آية (١)

م/ب

يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ، يميز في أخباره الصدق من الكذب ، وفي أوامره الغي من الرشاد ، فهو بهذا الاعتبار "(مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) (١)

ولا بأس من أن نذكر هنا بعض تلك الأقوال التى "

منها " أن المراد من كون القرآن الكريم كله محكما " هو إتقانه ، وعدم تطرق النقص والاختلاف اليه ، وإحكام نظمه ، أو من الحكمة التي اشتملت آياته عليها • (٢)

ومنها " أنه محكم بمعنى " أنه ليس فيه عيب ، وأنه كلام حق ، فصيح الالفاظ صحيح المعاني ، متقن متين ، لايتطرق اليه خلل لفظي ، ولا معنوى ، ولا ينتابه تصدع ولا وهن • (٣)

ومنها " أن إحكام القرآن الكريم أتى من جهة الإتفاق الذى يعم آياته إذ هو يصدق بعضه بعضا ، فالإحكام الذى يعمه هو الإتفاق وتميز الصدق من الكذب في أخباره ، والغي من الرشاد في أوامره • (٤)

أما ابن تيمية — رحمه الله تعالى — فيرى أن الإحكام يكون — أحيانا — في التنزيل ، وفي مقابلته ما يلقيه الشيطان ، مستدلا لذلك بقوله تعالى " (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) (٥)

وتارة يكون الإحكام في إبقاء التنزيل ، وعدم نسخه ، ويقابل المحكم حينئذ المنسوخ •

يقول ابن تيمية في ذلك "

((الإحكام تارة يكون في التنزيل ، فيكون في مقابلته ما يلقيه الشيطان ؛ فالمحكم " المنزل من عند الله ، أحكمه الله ، أى فصله من الاشتباه بغيره ، وفصل منه ما ليس منه ، فان الإحكام " هو الفصل والتمييز ، والفرق والتحديد الذى به يتحقق الشئ ويحصل ايقانه •

---

(١) سورة الزمر آية ٢٣ (٢) السيوطي " الاتقان ٢/٢ ، محمد رشيد رضا تفسير المنار ١٦٣/٣ (٣) القاسمي " محاسن التأويل ٧٥٢/٤ ، الزرقاني " مناهل العرفان ١٦٧/٢ (٤) محمد بن ابراهيم الحسنى الصنعاني " ترجيح أساليب القرآن ص ١٤٤ عن مسائل العقيدة الاسلامية ، رسالة دكتوراه مخطوطة • كلية أصول الدين بالأزهر • مقدمة من " عبد العزيز سيف النصر •
(٥) سورة الحج آية (٥٢)

وتارة يكون ـ الاحكام ـ في ابقاء التنزيل ، عند من قابله بالنسخ الذى هـو رفـع ما شرع ... والسلف كانوا يسمون كل رفع نسخا سواء كان رفع حكم ، أو رفـع دلالـة ظاهـرة) (١)

فبكل هذه المعاني المتقدمة ، صدق أن يطلق على القرآن الكريم كله بأنه محكم.

ثانيا " (القرآن كله متشـابه)"

سبق أن عرفنا أن القرآن وصف بأنه كله محكم ، وسنورد ـ هنا ـ ما يدل على أن القرآن الكريم قد وصف بأنـه كله متشابه ، وذلك في قوله تعالى من سورة الزمـر " (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشـاء ومن يضلل الله فمالـه من هـاد) (٢)

وواضح من الآيـة الكريمـة في قوله تعالى "(كتابـا متشابها) أن هذا الوصف يشمل القرآن جميعـه .

فما المراد بالتشابه الذى وصف به القرآن هنـا ؟

لقد قيل " ان المراد من وصف القرآن الكريم هنـا بأنه كله متشابه ـ في حين أنه وصف فيما سبق بأنـه كله محكم ـ أن بعضه يشبه بعضا في الحق والصدق، وفي سلامتـه من التناقض ، والاختلاف ، كذلك يشبـه بعضه بعضا في هدايته وبلاغته ، وفي اعجاز ألفاظـه ومعانيـه . وهو عكس المتضاد المختلف ، المذكـور في قوله تعالى "

(أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (٣)

١ـ ابن تيميـة " الاكليل . مجموعة الرسائل الكبرى ٢/ ٧، ٨

٢ـ سورة الزمر آية (٢٣) (٣) سورةالنساء آية ٨٢)

وفي قوله تعالى من سورة الذاريات "(١)
(انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك)(٢)
وبهذا التفسير لكلمة (المتشابه) التى وصف القرآن كله بها ، يظهر واضحا
أنه لاتعارض بين وصف القرآن كله مرة بأنه محكم ، ووصفه مرة أخرى بأنه متشابه .
فالقرآن كله محكم ، باعتبار ، وكله متشابه باعتبار آخر ، ولا تعارض بينهما ، ولاخلاف
بين العلماء في ذلك.

ثالثا " (القرآن بعضه محكم ، وبعضه متشابه)

وهذا هو (الاحكام الخاص) و(التشابه الخاص) . يقول الله تعالى في سورة آل عمران " (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات..) الآية .

فهذه الآية تدل بظاهرها على أن القرآن منه ماهو محكم ، ومنه ما هو متشابه ، وهما وصفان متقابلان ، فالمعنى الذى أريد من الوصف الأول (محكمات) مغاير للمعنى الذى أريد من الوصف الثاني (متشابهات) ، وأن ما قصد بالأول خلاف ما قصد بالثاني .
فما هو المقصود ـ إذن ـ بالمحكم والمتشابه في هذه الآية في رأى العلماء ؟

سيتبين الجواب عن ذلك في المبحث الثاني وهو ما سننتقل اليه الآن .

(١) سورة الذاريات آية (٨، ٩)
(٢) السيوطي " الاتقان ٢/ ٢، ومحمد رشيد رضا " تفسير المنار ٣/ ١٦٣، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١١٥

((المبحث الثاني))

((معنى المحكم والمتشابه في اللغة وفي اصطلاح العلماء))

(معنى المحكم في اللغة)

لمعنى (المحكم) في اللغة اطلاقات كثيرة ، ولكن بالرغم من تعدد تلك الاطلاقات الا أنها تتفق في معنى عام ـ كما يقول الشيخ محمد رشيد رضا ـ وهو " المنع . (١)

ويقول ابن منظور " ... والعرب تقول"
(حكمت ، وأحكمت ، وحكّمت بمعنى " منعت ورددت ، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكما ، لأنه يمنع الظالم من الظلم .
قال الاصمعي " أصل الحكومة رد الرجل عن الظلم ، قال " ومنه سميت حكمة اللجام ؛ لانها ترد الدابة).
وقال الأزهري "(وحكّم الشيء ، وأحكمه ، كلاهما منعه من الفساد) (٢)

إذن (فالمحكم) ـ وبناء على ما تقدم ـ هو ما يمنع باحكامه من تطرق الخلل والفساد اليه .

وبهذا القدر من تعريف المحكم في اللغة نكتفي ، إذ أنني لا أرى ما يدعو الى ذكر كل ما قيل في اللغة عن المحكم ، لاسيما وأن جميعها يعود ـ كما سبق ـ الى معنى عام هو " المنع ".

وننتقل بعد هذا الى ذكر معنى المتشابه في اللغة .

---

(١) محمد رشيد رضا " تفسير المنار ١٦٣/٣ ، والزرقاني " مناهل العرفان ١٦٦/٢

(٢) ابن منظور " لسان العرب ١٢ / ١٤١، ١٤٣

م/ب

(معنى المتشابه في اللغة)

يطلق (المتشابه) في اللغة على المماثلة بين شيئين ، ومهما تعددت عبارات اللغويين في هذا ، فانها لاتعنى أكثر من ذلك .

يقول ابن منظور "
(الشِّبْهُ ، والشَّبَهُ ، والشَّبِيه : المثل . والجمع " أشباه ..
وأشبه الشيءُ الشيءَ " ماثله ، وفي المثل " من أشبَهَ أباه فما ظلم ،... وأشبهت فلانا ، وشابهته ، واشتبه عليّ ، وتشابه الشيئان ، واشتبها ، أشبه كل واحد منهما صاحبه ،... وشبهه إياه ، وشبهه به " مثله .
... والمتشابهات " المتماثلات ... والتشبيه " التمثيل) (١)

ومن هذا التعريف في اللغة لمعنى " (المتشابه) ، يظهر أن التشابه بين شيئين ربما يكون سببا في غموضهما ، وعدم التفريق بينهما ، لاسيما اذا كان التشابه قويا بين أمرين .

(المحكم والمتشابه في اصطلاح العلماء)

اختلف العلماء اختلافا كبيرا ، وتعددت آراؤهم في تحديد معنى كل من المحكم والمتشابه في القرآن الكريم ، الواردين في قوله تعالى من سورة آل عمران "
(منه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات) الآيــة .
ترى ما هي الآيات المحكمات ؟ وماهي الآيات المتشابهات التى عنى الله تعالى بهذه الآية من سورة آل عمران ؟

---

(١) ابن منظور " لسان العرب ١٣/ ٥٠٣

م/ب

ان الناظر في كتب التفسير ، وكتب العقائد يجد الآراء المتعددة ، والأقوال المختلفة في بحث المحكم والمتشابه ، ولايكاد أن يخرج بنتيجة حاسمة للخلاف في الموضوع ، بل ربما يخطر للباحث ـ لكثرة الاختلاف ـ أن البحث في المحكم والمتشابه ، لمعرفة المراد بكل واحد منهما هو أمر من المتشابه ، وأن لم يكن ذلك مقصودا بآية آل عمران . والذى جعلني أقول " ان البحث في معرفة المحكم والمتشابه هو نفسه من المتشابه هو أن كل ما عده العلماء متشابها قد تكلموا فيه بالتفسير ، والتأويل ، ولم يتركوا من ذلك سوى أخبار القيامة ، والبعث ، والحشر ، والجزاء ، أما عدا ذلك فقد أولت كل طائفة فيه بدلوها ، تارة بالتأويل ، وأخرى بالتفسير .

ولعل السبب في ذلك الاختلاف ، وكثرة الآراء ، هو عدم ورود نص شرعي يحدد معنى كل من المحكم والمتشابه ، ويحسم النزاع الواقع بين العلماء .

لذا فإنني سأذكر الآراء بإيجاز ، وسأبدأ بذكر ما نقل عن السلف في هذا الموضوع ، ثم أتبعه بآراء الأشاعرة ، ثم المعتزلة . وبالله التوفيق .

((أقوال السلف في المحكم والمتشابه))

القول الأول "

يرى أصحاب هذا القول أن المحكمات هي الآيات الثلاث من آخر سورة الأنعام (١) من قوله تعالى "(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) ، وأربع آيات من سورة الاسراء (٢) من قوله تعالى "(وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه) الى آخر قوله تعالى "(وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرا) .

---

(١) سورة الأنعام الآيات "(١٥١ ـ ١٥٣)

(٢) سورة الاسراء الآيات "(٢٣ ـ ٢٦)

روى ذلك ابن جرير الطبرى في تفسيرة (١) من ابن عباس رضي الله عنهما
والآيات الثلاث من آخر سورة الأنعام هي التى تسمى الوصايا العشر،
لاشتمالها على عشر وصايا ، وموضوعاتها هي "

أولا "

النهي عن الاشراك بالله تعالى •

(قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا)

ثانيا "

الأمر بالاحسان الى الوالدين •

(وبالوالدين احسانا)

ثالثا "

النهي عن قتل الأولاد بسبب الفقر •

(ولا تقتلوا أولادكم من املاق) •

ثم عقب سبحانه هذا النهي بما يبعث الطمأنينة في النفوس، والتوكل عليه سبحانه وتعالى ، فقال " (نحن نرزقكم واياهم) •

رابعا "

النهي عن الاقتراب من الفواحش•

(ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن) •

خامسا "

النهي عن قتل النفس الانسانية الا بالحق•

(ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق)

سادسا "

النهي عن الاقتراب من مال اليتيم الا بما يصلحه وينميه حتى يبلغ اليتيم ويحسن التصرف في ماله •

---

(١) ابن جرير الطبرى " التفسير ٦/ ١٧٤، السيوطي " الاتقان ٢/ ٣

(ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتى هي أحسن حتى يبلغ أشـده)

سابعا "

الأمـر بايفاء الكيل والوزن، وعـدم التطفيـف فيهما •

(وأوفوا الكيل والميزان بالقسـط)•

ثامنا "

الأمـر بالصـدق في القول ، ولوكان على الأقربين •

(واذا قلتم فاعدلوا ولوكان ذا قربى)•

تاسعا "

الأمـر بالوفـاء بالعـهـد • بالعهد

(وبعهـد الله أوفـوا)

عاشرا "

الأمـر باتباع سبيل الله المستقيم ، والنهي عن اتباع سبل الشيطـان التى من شأنها أن تبعدهم عن سبيل الله •

(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)

وأما الآيات الأربع التى في سورة الاسراء، والتى ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أنها من المحكمات فهي قوله تعالى "

(وقضى ربك ألاتعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهماأف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا • ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفـورا • وآت ذا القربى حقـه والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرا •) (١) •

---

(١) سـورة الاسـراء الآيات " (٢٣ ـ ٢٦)

م/ب

وكما هو واضح من الآيات ، فان موضوعاتها تكاد تتفق مع ما ورد في سورة الانعام، فقد أمرت بعبادة الله تعالى وحده ، وعدم الاشراك به في العبادة ، وأمرت ببر الوالدين باسهاب ، وهو الموضوع الثاني من موضوعات سورة الانعام ، حيث بينت بوضوح ما يجب على الانسان تجاه والديه من طاعتهما ، فقد أمرته أن يقول لهما قولا كريما ، وأن يدعو لهما بالرحمة والخير، جزاء ما بذلا في تربيته وما لقيا من مشقة منذ طفولته حتى صار رجلا مكتمل القوى .

كما نهته عن عقوقهما ، والاضرار بهما ، وبينت له أقل ما يمكن أن يكون عقوقا لهما ، وهو ابداء التضجر بالتأفف أمامهما ، ومخاطبتهما بالصوت العالي ، والقول الجهوري ، فان هذه الأمور تتنافى والآداب الواجب مراعاتها تجاههما والاعتراف لهما بالفضل والاحسان .

ثم أخبر سبحانه بعد ذلك ، بأنه يعلم ما يكنه الانسان في نفسه من خير وشر ، ليكون ذلك رادعا له عن اضمار الشر ، وحافزا له لأن تكون أعماله كلها صالحة حتى ما يضمره في نفسه ، لأن الله يغفر للصالحين التائبين ، وقد وردت بعض وصايا زائدة في سورة الاسراء على ما ورد في سورة الانعام ، وهي الأمر بدفع الحقوق الى اصحابها .

وقد اشتملت هذه الآيات ـ أيضا ـ على النهي عن التبذير ، لأنه صفة ذميمة ، وهو من صفات الشياطين ، كما بينته الآية التي بعد هذه الآيات من سورة الاسراء ، وهي قوله تعالى "(ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا)(١)

---

(١) سورة الاسراء آية (٢٧)

القول الثاني"

يذهب الى أن (المحكمات) هي " الناسخ ، والحلال ، والحرام ، والحدود ، والفرائض ، وما يؤمن به ويعمل به •

و (المتشابهات) " المنسوخ ، والمقدم ، والمؤخر (١) ، والأمثال ، والاقسام ، وما يؤمن به ولا يعمل به •

وهذا القول مروى عن ابن عباس ، وقتادة ، وابن مسعود ، والسدى ، والضحاك وغيرهم • (٢)

وبجعلهم رضي الله عنهم (ما يؤمن به ولا يعمل به) من المتشابه صح أن يدخل المنسوخ في (المتشابه) ، وأعني بالمنسوخ ، ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته ، أما ما نسخ تلاوة ، وبقي حكمه ، مثل آية الرجم وغيرها ، فلا يدخل في (المتشابه الذى (يؤمن به ولا يعمل به) ؛ لأنه يتعلق به عمل ، وهو تنفيذ الحكم في من يتعلق به ، والله أعلم •

القول الثالث"

هو أن (المحكم) ما أحكم الله فيه بيان الحلال والحرام •

والمتشابه " ما سوى ذلك يصدق بعضه بعضا •

روى ذلك عن مجاهد وعكرمة • (٣)

---

(١) مثال المقدم ، والمؤخر " قوله تعالى " (فلاتعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) •
روى عن قتادة أنه قال " هذا من تقاديم الكلام ، يقول " (لاتعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة) • السيوطي " الاتقان ٢ / ١٣

(٢) ابن جرير الطبرى " التفسير ٦ / ١٧٥ـ١٧٦ ، وابن كثير التفسير ١ / ٣٤٤ ، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١١٧

(٣) ابن جرير الطبرى " تفسير ٦ / ١٧٦ • تحقيق محمود محمد شاكر • وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١١٧ •

القول الرابع "

هو أن (المتشابه) الحروف المقطعة في أوائل بعض السور، مثل (ألـم) و (ألمـص)
وهذا القول يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما . (١)

القول الخامس"

أن (المحكم) قصص الرسل والانبياء مع أممهم مما قد بينه سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم .
و(المتشابه) ما اختلفت ألفاظه في قصصهم عند التكرير في السور ،كما قال تعالى في موضع من قصة نوح عليه الصلاة والسلام (احمل فيها) (٢) وقال في موضع آخر (فاسلك فيها)(٣)
وقال في عصا موسى عليه الصلاة والسلام " (فاذا هي حية تسعى) (٤) وقال في موضع آخر " (فاذا هي ثعبان مبين) (٥)
روى ذلك عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (٦)

---

(١) ابن جرير الطبرى" التفسير ١ /٢١٦ ، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١٣٩
(٢) قال تعالى " (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك) سورة هود آية ٤٠
(٣) قال تعالى "(فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك) سورة المؤمنون آية ٢٧.
(٤) (فألقاها فاذا هي حية تسعى) سورة طه آية (٢٠)
(٥) (فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) سورة الأعراف آية (١٠٧)
(٦) ابن جرير الطبرى" التفسير ٦ /١٧٨ ، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١٤٠ .

القول السادس"

يذهب أصحاب هذا القول الى أن (المحكم) مالايحتمل من التأويل الا وجها واحدا ٠ و(المتشابه) ما احتمل من التأويل أوجهـا ٠

روى هذا القول عن محمد بن جعفر بن الزبير ، ونقل عن الامام الشافعي ، والامام أحمد رحمهم الله تعالى ٠ (١)

القول السابع"

هو أن (المحكم) ما عرف العلماء تأويله ، وفهموا معناه وتفسيره ٠ و (المتشابه) ما لم يكن لأحد الى علمه سبيل ؛ مما أستأثر الله بعلمه دون خلقه ، كقيام الساعة ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ، وما أشبه ذلك ٠

وهذا القول روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ٠ (٢)

((أقوال الأشاعرة في المحكم والمتشابه))

القول الأول "

أن (المتشابه) هو الذى لايعلم تأويله الا الله ، ومنه " الحروف المقطعة في أوائل بعض السور ٠

ذكر هذا القول ، البغدادى في كتابه (أصول الدين) ونسبه الى الحارث المحاسبي ، والقلانسي ، وغيرهما ، كالامام مالك والامام الشافعي ، وأكثر الأمة ، يقول البغدادى"

---

(١) ابن جرير الطبرى " التفسير ٦/ ١٧٧ ، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص١١٨ ـ ١٤٠

(٢) ابن جرير الطبرى " التفسير ٦/ ١٧٩ ، ١٨٠" وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص١٣٨

م/ب

" (واختلف أصحابنا في ادراك علم تأويل الآيات المتشابهات ، فذهب الحارث المحاسبي ، وعبد الله بن سعيد ، وأبو العباس القلانسي ، الى أن (المتشابه) هو " الذى لايعلم تأويلـه الا الله ، وقالوا " ...

منها حروف الهجاء " في أوائل السور ، وهذا قول مالك ، والشافعي ، وأكثر الأمـة . ومن قال بهذا ، وقف على قوله تعالى " (وما يعلم تأويله الا الله) ثم ابتدأ من قوله تعالى " (والراسخون في العلم ...) الآيـة .

وقال البغدادى أيضا "

(وكان شيخنا أبو الحسن الأشعرى يقول " لا بد من أن يكون في كل عصر من العلماء من يعلم تأويل ما تشابه من القرآن . واليه ذهبت المعتزلـة ، ووقفوا من الآيـة على قوله تعالى " (والراسخون في العلم) ، والوقف الأول أصح عندنا ، وبـه قال ابن عباس ، وابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وفي مصحف أبي " وما يعلم تأويله الا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به ... " وفي مصحف ابن مسعود " (... وان تأويله الا عند الله ، ثم قال " والراسخون في العلم) ا . هـ (١)

القول الثاني "

أن (المحكم) هو ما لا تختلف فيه الشرائع ، كالوصايا العشر الواردة في سورة الانعام .

و (المتشابهات) ما يمكن أن تختلف فيه الشرائع ، كأعداد الصلوات ومقادير الزكاة ، وغير ذلك .

قاله الرازى في تفسيره بعد أن ذكر قول ابن عباس في أن المحكم " الآيات الثلاث من سورة الانعام فقال "

(وأقول " التكاليف الواردة من الله تعالى تنقسم الى قسمين "

منها " مالا يجوز أن يتغير بشرع وشرع ، وذلك كالأمر بطاعة الله تعالى ، والاحتراز عن الظلم ، والكذب ، والجهل ، وقتل النفس بغير حق .

---

(١) البغدادى " أصول الدين ص ٢٢٢

ومنها " ما يختلف بشرع وشرع ،كأعداد الصلوات ، ومقادير الزكوات ، وشرائط البيع ، والنكاح ، وغير ذلك ، فالقسم الأول هو المسمى بالمحكم عند ابن عباس، لأن الآيات الثلاث في سورة الأنعام مشتملة على هذا القسم. وأما (المتشابهات) فهو الذى سميناه بالمجمل ، وهو ما يكون دلالة اللفظ بالنسبة اليه والى غيره على السوية . (١)

القول الثالث"

(المتشابه) الآجال الحادثة ،كقيام الساعة ، والحشر والنشر ، التى خفي علمها عن الخلق ، واستأثر الله بعلمها دون خلقه ، فلم يطلع أحدا من خلقه على وقتها ، وكيفيتها لا نبي مرسل ولا ملك مقرب . وهذا القول ذكره امام الحرمين الجويني عن الزجاج ، وارتضاه هو ، وذلك بعد أن ذكر — الجويني — الخلاف في الوقف من آية آل عمران ، هل هو على قوله تعالى "(ومايعلم تأويله الا الله) أو على قوله تعالى "(والراسخون في العلم) .

قال الامام الجويني رحمه الله تعالى "

(... والوجه الآخر في الكلام ما ارتضاه الزجاج (٢) حيث قال " أراد الرب تعالى بالمتشابه في الآية ، المواعيد التى انطوت عن الخلق عواقبها ،كمواقع الحشر والنشر ، والساعة، وهي التى تقلب في السموات والأرض لا تأتي الا بغتة ، فوبخ الله تعالى الكفرة المعترضين ، عما ظهر من الآيات الباهرة . المتشبثين باستعجالهم ما توعدوا به من العذاب والعقاب ، واستكشاف موقع الساعة ومرساها ، ومختتم الدنيا ومنتهاها ، فوبخهم الله تعالى

---

(١) الفخر الرازى " التفسير الكبير ٧/ ١٨٢ الطبعة الأولى .

(٢) الزجاج (٢٤١ — ٣١١ هـ) هو أبو اسحاق ابراهيم بن السرى بن سهل ، عالم بالنحو واللغة ، ولد ومات في بغداد كان في فتوته يخرط الزجاج ، ومال الى النحو ، فعلمه المبرد وطلب عبد الله بن سليمان مؤدبا لابنه فدله المبرد على الزجاج فأدب له ابنه الى أن ولي الوزارة مكان أبيه ، فجعله القاسم من كتابه . ٠١٠ هـ . الأعلام ١/ ٣٣ ط ١٠ الملايين

لما صرّوا بالمتشابه ، وانحجروا عن المتبين في الآيات ... عتـــوا منهم وعنادا ، وتعللا في دفع الحق ، وهذه الآيـة المطلقة فسرتها آيـة من كتاب الله واضحة (١) مشتملة على ذكر مساء لتهم عن الساعة ، واستعجالهم العذاب ، وابتغائهم استزلال الناس ، والفتن بالتأويل ، أذ مآل الوعـــد والوعيـد هو وقوعهما ، وقد سمى الرب تعالى القيامة تأويلا في قوله تعالى " (هل ينظرون الا تأويلـه)٠

قال الجويني "(وهذا أحسن الوجـوه في الكلام على الآيـة) (٢) ا٠ هـ

وعلى الرغم من التباين بين قول الجويني هذا وبين قول الرازى المتقـــدم الا أن للرازى قولا آخر يتفق مع قول الجويني ، ذكره عند الكلام على معنـى التأويل فقـال "

(... واعلم أن المراد ... أنهم طلبوا التأويل الذى ليس في كتاب اللـه تعالى عليه دليل ولا بيان ، مثل طلبهم " أن الساعة متى تقوم ؟ وأن مقادير الثواب والعقاب لكل مطيع وعاص كم تكون ؟ (٣)

يضاف الى هذا أن بعض المتأخرين يرى أن آيات الصفات من المتشابـــه ذكره ابن تيميـة ، والشيخ محمود الألوسي في تفسيره (روح المعاني) فقال " (واعلم أن كثيرا من الناس جعل الصفات النقلية ، من الاستواء ، واليد ، والقدم ، والنزول الى السماء الدنيا ، والضحك ، والعجب ، وأمثالها من المتشابه) (٤)

هذا وبعد ذكر أقوال الأشاعرة في المحكم ، والمتشابه ننتقل الى ذكر بعـض أقوال المعتزلـة فيهما باختصار ٠

---

(١) لعل الآية المشار اليها هي قوله تعالى من سورة الاعراف (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لايجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والأرض لاتأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند اللـــه ولكن أكثر الناس لايعلمون) آية ١٨٧)
كذلك ورد السؤال عن الساعة في سورة الأحزاب آية (٦٣) ، وسورة القيامة القيامـة آية (٦) ، وسورة المعارج آية (١) وسورة النازعات آية (٤٢) ا ٠ هـ
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن باب (السين)

(٢) الجويني " الشامل ص٥٥٢ ط٠ عام ١٩٦٩م تحقيق د ٠ علي سامي النشار٠

(٣) الفخر الرازى " التفسير الكبير ٧ / ١٨٨ (٤) ابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ١٤١ ، محمود الألوسي ، روح المعاني ٣ / ٨٧ ، والسيوطي " الاتقان ٢ / ٦ ، والراغب الاصفهاني المفردات في غريب القرآن ، كتاب (الشين ٠

((أقوال المعتزلة في المحكم والمتشابه))

المعتزلة كغيرهم من الفرق قد اختلفوا في تحديد كل من المحكم والمتشابه الوارد ذكرهما في القرآن الكريم في سورة آل عمران · فقد ذكر أبو الحسن الأشعري ـ رحمه الله تعالى ـ اختلافهم في ذلك ، في كتابه "(مقالات الاسلاميين ··) وبين أن لهم ثلاثة أقوال ، ونحن نوردها هنا كما ذكرها هو منسوبة لأصحابها ، ثم نذكر من وافقهم في تلك الأقوال أو بعضها من أئمتهم المعتبرين فنقول "

القول الأول "

(أن المحكمات ما أعلم الله سبحانه ، من عقابه للفساق كقوله تعالى "(ومن يقتل مؤمنا متعمدا) (١) وما أشبه ذلك من آي الوعيد ·

و (المتشابهات) ما أخفى الله عن العباد عقابه عليها ، ولم يبين أنه يعذب عليها كما بين في المحكم منه) ·

وهذا القول نسبه أبو الحسن الأشعري الى (واصل بن عطاء*) و(عمرو بن عبيد)

القول الثاني "

قال(ابو بكر الأصم " (محكمات) يعني حججا واضحة لاحاجة لمن يتعمد الى طلب معانيها ، نحو ما أخبر الله سبحانه عن

(١) سورة النساء آية (٩٣)

م/ب

الأمم التي مضت ممن عاقبها ، وما يثبت عقابها ، ونحو ما أخبر عن مشركي العرب ، أنه خلقهم من النطفة ، وأنه أخرج لهم من الماء فاكهة وأبا ، وما أشبه ذلك • فهذا محكم كله ، ••• قال الله سبحانه "(آيات محكمات هن أم الكتاب) أي الأصل الذي لو فكرتم فيه عرفتم أن كل شيء جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم حق من عند الله سبحانه •

(وأخر متشابهات) وهو نحو ما أنزل الله من أنه يبعث الأموات ، ويأتي بالساعة ، وينتقم ممن عصاه ، أو ترك آية ، أو نسخها مما لا يدركونه الا بالنظر ، فيتركون هذا ويقولون" ائتنا بعذاب الله •••) •

القول الثالث"

نسبه الامام أبو الحسن الأشعري الى (الاسكافي) ، وهو أنه قال في قول الله تعالى "

(آيات محكمات) قال " هي التي لا تأويل لها غير تنزيلها ، ولا يحتمل ظاهرها الوجوه المختلفة •

و(أخر متشابهات) هي الآيات التي يحتمل ظاهرها في السمع المعاني المختلفة) (١)

وبهذا القول قال " القاضي عبد الجبار والزمخشري •(٢)

وبعد أن ذكرنا الأقوال الواردة عن السلف ، والأشاعرة والمعتزلة في المحكم ، والمتشابه ، دون تعليق عليها أو مناقشة ، ننتقل الى المبحث الثالث، وهو مبحث مناقشة الآراء وبيان الراجح منها •

---

(١) أبو الحسن الأشعري" مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ١ / ٢٩٣-٢٩٤ الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م

(٢) القاضي عبد الجبار" شرح الأصول الخمسة ص• ٦٠ ط• الأولى ومتشابه القرآن ١ / ١٩، المغني ١٦ / ٣٧٩ (اعجاز القرآن) الطبعة الأولى •

والزمخشري" تفسير الكشاف ١ / ٤١٢ طبعة عام ١٣٨٥ هـ

المبحـــث الثـــالث

((مناقشة الآراء وبيــــــان الـــرا جــح منهـما))

ذكرت في المبحث السابق أقوال العلماء في المحكم والمتشابه ، فذكرت سبعة أقوال للسلف ، وثلاثة للأشاعرة ، وثلاثة للمعتزلة ، وفي هذا المبحـــــث سأناقش تلك الأقوال وأختار بعد ذلك الراجح •

ولما كنت قد ذكرت في المبحث السابق أقوال كل فرقــة على حدة منفصلــة عن أقوال الفرقــة الأخرى ، ولما كانت هذه الفرق ــ ربما ــ تتفق آراؤ هــا في قول أو أكثر ، فانني أرى أنه لا بد ــ والحالة هذه ــ من اعادة تلك الأقوال ــ باختصار ــ والاشارة الى ما اتفقت عليه الفرق الثلاث أو بعضها من تلـــك الأقوال • فأقول وبالله التوفيـــق •

القول الأول "

لا بن عباس رضي الله عنهما "

(المحكم) هو الثلاث آيات من سورة الانعام ، من قوله تعالى "(قـــل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا ••• الآيات ة ومن سورة الاسراء من أول قوله تعالى "(وقض ربك الاتعبــــدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الي قوله تعالى "(وآت ذا القربـــى حقـــه) الآيـــة •

وبهذا القول قال الفخر الرازى من الأشاعرة •

وكما هو واضح من سياق الكلام فابن عباس رضي الله عنهما لم يتعــرض للمتشابه في هذا القول فهل معنى هـــذا أن ما عدا ما ذكر في آيات سورة الانعام والاسراء السابقتين يكون متشابها ؟

والجواب قد يكون ذلك !! لولا أنه ورد عنه تفسير المتشابـــــه في قولين آخرين سنأتي على ذكرهما ــ ان شاء الله ــ أولهما ما ورد في القول الثاني المنقول عنه وهو الآتي•

القول الثاني "

لابن عباس، وابن مسعود ، وقتادة ، والسدى ، والضحاك وغيرهم .

(المحكم) الناسخ ، والحلال والحرام ، والحدود ، والفرائض ... الخ .

و(المتشابه) المنسوخ ، والمقدم ، والمؤخر ، والأمثال ، والاقسام، وما يؤمن به ولا يعمل به .

وتفسير ابن عباس ومن معه ، المحكم بأنه الحلال والحرام ... الخ .

يتفق مع قول ابن عباس الأول اذ أن آيات سورة الانعام والاسراء التى ذكرها ابن عباس تتحدث عن الحلال والحرام ، وقد سبق أن ذكرت موضوعاتها بما يغنى عن اعادته هنا .

والزيادة التى وردت في قول ابن عباس هذا أن المحكم " هو الناسخ ، والناسخ لايخلوا من أحد أمرين "

اما أن يكون رافعا حكما دون أن يستبدل بحكم آخر عوضا عنه .

واما أن يكون رافعا حكما ومثبتا حكما آخر عوضا عنه وهذا الناسخ للحكم

اما أن يكون " أمرا بحلال أو نهيا عن حرام .

اذن فالقولان - الأول والثاني - في تفسير المحكم متفقان ، ولا تعارض بينهما لما بيّنا .

أما تفسير (المتشابه) هنا - بأنه المنسوخ ، والمقدم ، والمؤخر ... الخ .

فهو أحد قولي ابن عباس في المتشابه ، وسيأتي له قول آخر .

ولعل المراد بقول السلف هذا بأنه من المتشابه الذى لايظهر لكل أحد فهو تشابه نسبى اذا خفي على شخص علمه آخر ،

واذا لم يعلم في عصر علم في عصر آخر . كما ذكر ذلك أبو الحسن الأشعرى فيما تقدم . (١) لأنهم يريدون أنه متشابهه لايعلمه الا الله . ومما يدل على ذلك أن ابن عباس قال لنافع بن الأزرق "(اني أحسبك قست من عند أصحابك فقلت لهم " أين ابن عباس فألقي عليه متشابه القرآن)؟! !(٢)

قال ابن عباس رضي الله عنهما ذلك لنافع عندما سأله نافع من قوله تعالى "(فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون)(٣) مع قوله تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)(٤) وقوله تعالى "(ولايكتمون الله حديثا)(٥) مع قوله تعالى "(ربنا ما كنا مشركين)(٦)

فابن عباس رضي الله عنهما سمى هذا متشابها ومع ذلك فقد فسرها لنافع بن الأزرق مما يدل على ما سبق أن قلته من أن مرادهم بالتشابه في المنسوخ والمقدم .. الخ هو التشابه النسبي الذى لايعلمه كل أحد كما لايخفى على كل أحد .

القول الثالث"

قول مجاهد وعكرمة .

المحكم " الحلال والحرام.

والمتشابه " ما سوى ذلك يصدق بعضه بعضا .

وهذا القول يتفق مع قولي ابن عباس السابقين في المحكم.

أما قولهما في المتشابه " بأنه ما سوى ذلك يصدق بعضه بعضا.

فلا شك أن المتشابه نفسه مع تشابهه يصدق بعضه بعضا ولايتعارض أبدا .

---

(١) انظر القول الأول من أقوال الأشاعرة في المحكم والمتشابه .
(٢) انظر القصة مع تفسير ابن عباس لها ، صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى . كتاب التفسير سورة (حم) السجدة .
(٣) سورة المؤمنون آية ١٠١
(٤) سورة الطور آية (٢٥)
(٥) سورة النساء آية (٤٢)
(٦) سورة الأنعام آية (٢٣)

القول الرابع"

قول ابن عباس رضي الله عنهما .
بأن المتشابه الحروف المقطعة في أوائل بعض السور ... الخ .
وهذا هو القول الثاني من قولي ابن عباس في المتشابه .
وقد عزا البغدادي في كتابه (أصول الدين) هذا القول الى الحارث المحاسبي ، والقلانسي ، وغيرهما ، أمثال الامام مالك والامام الشافعي ، وأكثر الأمة كما سبقت الاشارة الى ذلك .

وقد ذكر هذا القول أيضا ابن جرير الطبري في تفسيره ، ورجح أن تكون هذه الرواية عن ابن عباس هي المراده بالمتشابه ، بالرغم من تضعيفه لها في موضعين من تفسيره ، وذلك بسبب محمد بن السائب الكلبي وهو متهم بالكذب . (١)

القول الخامس"

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .
(المحكم) قصص الأنبياء والرسل مع أممهم ... الخ .
(والمتشابه) ما اختلفت ألفاظه في قصصهم واتفقت معانيه عند التكرير في السور ... الخ .

وهذا التشابه من تشابه الألفاظ على القارئ لتكرارها في عدة سور بألفاظ مختلفة . أما معانيها فلا اختلاف بينها .

---

(١) ابن جرير الطبري " التفسير ١/ ٦٦ ، ٧٦ الخبر رقم (٧٢)
والكلبي " هو " محمد بن السائب الكلبي أبو النضر الكوفي .
انظر ترجمته ، وما قيل فيه . تهذيب التهذيب" لابن حجر العسقلاني ٩/ ١٧٨ وما بعدها . الطبعة الأولى .
والذهبي " ميزان الاعتدال ٣/ ٥٥٦ ط. الحلبي .

القول السادس"

عن محمد بن جعفر بن الزبير، والامام الشافعي، والامام احمد •
(المحكم) مالا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا •
و(المتشابه) ما احتمل في التأويل أوجها •
وبهذا القول قال الفخر الرازى من الأشاعرة، والاسكافي والزمخشرى، والقاضي عبد الجبار من المعتزلة •

القول السابع"

روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه •
أن (المحكم) ما عرف العلماء تأويله، وفهموا معناه وتفسيره •
و(المتشابه) مالم يكن لأحد الى علمه سبيل مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه، كقيام الساعة، ووقت طلوع الشمس من المغرب ••• الخ •
وبهذا القول، قال الجوينى والرازى من الأشاعرة، والزجاج وأبو منصور من اللغويين، وأبو بكر الأصم من المعتزلة •
ويرى بعض المتأخرين أن آيات الصفات من المتشابه •
ذكر هذا الرأى ابن تيمية ونسبه الى بعض المتأخرين (١)
وذكره الشيخ محمود الألوسي، في تفسيره لآية سورة آل عمران، •
والقول بأن آيات الصفات من المتشابه لايتفق مع مذهب السلف فيها كما ذكر ذلك الشيخ الألوسي، تعقيبا على هذا القول، حيث قال"
(••• ويذهب السلف، والأشعرى — رحمه الله تعالى — من اعيانهم — كما دلت على حاله الابانة — أنها صفات ثابتة وراء العقل، ما كلفنا الا اعتقاد ثبوتها مع اعتقاد عدم التجسيم والتشبيه، لئلا يضاد النقل العقل) (٢)

(١) لعل ابن تيمية يقصد بالمتأخرين، بعض الأشاعرة •
(٢) الألوسي " روح المعاني ٣/ ٨٧

ومع ذلك فيمكن الجمع بين القولين والتوفيق بينهما طالما كان الجمع ممكنـاً . وابن تيمية ـ رحمه الله ـ قد ذكر كلاما في هذا الموضوع يمكننا أن نعتبره جمعا بين القولين السابقين في موضوع الصفات ، فهو يرى أن بين الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصف بها بعض خلقه ألفاظا ومعاني بينهما قدر مشترك ، وقدر فارق هو مراد في كل منهما ، ونحن لا نعرف الفارق الذي امتاز به الرب سبحانه ، فصرنا نعرفه من وجه دون وجه (فالمعنى الذي يراد به في حق المخلوقين لا يجوز أن يكون نظيره ثابتا لله) . مثال ذلك الاستواء ، حيث وصف الله به نفسه ووصف به بعض خلقه ، يقول ابن تيمية "

(قوله ـ تعالى "(ثم استوى على العرش) فانه قد قال (أي في حق المخلوقين) (واستوت على الجودي) (١) وقال ـ تعالى "(فاستوى على سوقه) (٢) وقال ـ تعالى ـ "(فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك)(٣) وقال ـ تعالى ـ " (لتستووا على ظهوره) (٤) فهذا الاستواء كله يتضمن حاجة المستوي الى المستوى عليه وأنه لو عدم من تحته لخر ، والله تعالى غني عن العرش وعن كل شئ ، بل هو سبحانه بقدرته يحمل العرش وحملة العرش ، وقد روي أنهم إنما أطاقوا حمل العرش لما أمرهم أن يقولوا " (لا حول ولا قوة الا بالله) .

فصار لفظ الاستواء متشابها ، يلزمه في حق المخلوقين معان يتنزه الله عنها ، فنحن نعلم معناه ، وأنه العلو والاعتدال ، لكن لا نعلم الكيفية التي اختص بها الرب ، التي يكون بها مستويا من غير افتقار منه الى العرش بل مع حاجة العرش وكل شئ محتاج (إليه) من كل وجه . وأنّا لم نعهد في الموجودات ما يستوي على غيره مع غناه عنه ، وحاجة ذلك المستوى عليه الى المستوي فصار متشابها من هذا الوجه ، فان بين اللفظين والمعنيين

---

(١) سورة هود آية (٤٤)
(٢) سورة الفتح آية (٢٩)
(٣) سورة المؤمنون آية (٢٨)
(٤) سورة الزخرف آية (١٣)

قدرا مشتركا وبينهما قدرا فارقا هو ، مراد في كل منهما ، ونحن لا نعرف الفارق الذى امتاز الرب به فصرنا نعرفه من وجه ونجهله من وجه ، وذلك هو تأويله ، والأول هو تفسيره . (١) وهذا تفريق جيد وحسن ، بين معرفة المعنى ، ومعرفة الكيف ، وهذا التفريق من ابن تيمية يتفق مع تعريفه للمتشابه (الخاص) الذى يقابل المحكم (الخاص) الواردين في سورة آل عمران .

يقول ابن تيمية في تعريفه للمتشابه (الخاص) "

(والمتشابه الخاص هو " مشابهة الشئ لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر ، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله وليس كذلك) (٢) والامام محمد عبده ـ رحمه الله تعالى ـ يوافق ابن تيمية في هذا المعنى إذ يقول "

(التشابه إنما يكون بين شيئين فأكثر ، وهو لا يفيد عدم فهم المعنى مطلقا)(٣)

وهذا المعنى الذى اختاره ابن تيميه والامام محمد عبده هو ما ذكره أبو الحسن الأشعرى ـ رحمه الله تعالى حيث قال فيما ذكره عنه البغدادى ـ (٤) (أنه لا بد من أن يكون في كل عصر من العلماء من يعلم تأويل ما تشابه من القرآن) . وعلى هذا يكون التشابه نسبيا فاذا خفي على بعض العلماء علمه آخرون . في أى عصر من العصور .

---

(١) ابن تيمية تفسير سورة الاخلاص ص ١١١ ، ١١٢ .

(٢) ابن تيمية " التدمرية ضمن مجموعة الفتاوى . ط " الرياض ٣ / ٦٢

(٣) محمد رشيد رضا " تفسير المنار ٣ / ١٦٥

(٤) انظر القول الأول من أقوال الأشاعرة في المحكم والمتشابه .

القول الثامن"

نسبه أبو الحسن الأشعرى الى (واصل بن عطاء) و (عمرو ابن عبيد) أن (المحكم) ما أعلم الله سبحانه من عقابه للفساق كقوله تعالى "(ومن يقتل مؤمنا متعمدا) (١) وما أشبه ذلك من آى الوعيد ٠

و(المتشابه) ما أخفى الله عن العباد عقابه عليها ولم يبين أنه يعذب عليها كما بين في المحكم منه ٠

وقول واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد هذا مخالف لما نقل عن السلف من أن آى الوعيد كلها من المتشابه ٠

(فقد اشتهر -كمايقول ابن تيميه- عن عامة السلف أن الوعد والوعيد من المتشابه ، وتأويل ذلك هو مجئ الموعود به ، وذلك لا يأتي به الا الله) (٢)

ولعل واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد قد بنيا رأيهما هذا على اعتقادهما بأن الفساق مستوجبون للعذاب والخلود في النار ، وأنه لاتنفعهم شفاعة الشافعين) فيكونون بقولهم هذا قد وافقوا الخوارج في الحكم الأخروى على مرتكب الكبيرة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وان كانوا قد خالفوا الخوارج في أحكام الدنيا بأن جعلوا مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين٠

ولا اعتبار لقولي المعتزلة والخوارج ، لافي الحكم الدنيوى ولا في الحكم الأخروى على مرتكب الكبيرة ، لمخالفتهم نصوص الكتاب والسنة ، الدالة على أن الفاسق تحت مشيئة الله ان شاء غفر له ، وان شاء عذبه ، وأنه ان دخل النار فسيخرج منها اذا كان موحدا٠

---

(١) سورة النساء آية (٩٣)

(٢) ابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص٠ ١٣

وأما تعريفهما للمتشابه " بأنه ما أخفى الله عن العباد عقابه عليهـــا ... الخ فهو — في نظري — يدور حول فكرتهما السابقة في المحكم ، وفـــي حكمهم على مرتكب الكبيرة ، ليؤيدوا به رأيهم في ذلك الحكم . والا فان مـــا أخفاه الله عن العباد أكثر من أن يكون مجرد اخفاء العقاب على بعض الأمور كما يزعمـــون .

وبعد أن اتضح لنا في هذا البحث أن الآراء في المحكم والمتشابه صارت ثمانية بعد حذف المكرر بين الفرق منها ، وبعد مناقشتنا لتلك الآراء ، لم يبق أمامنا غير (بيان الراجح منها) وقد رأيت أن أؤجل بيانه الـــى ما بعد المبحث الرابع الذي سنخصصه لبحث معنى (التأويل) في القرآن وفي اللغة وفي اصطلاح العلماء حتى تتبين معانيه المراده ، فقد يساعدنا معرفة معنى التأويل المقصود في آية آل عمران على (بيان الراجح) مـــن أقوال العلماء في المحكم والمتشابه . والله أعلم.

((المبحـــــث الـــرابـع))

فـــي

((التـــأويـــل))

ذكرنا معنى المحكم والمتشابه وآراء العلماء في ذلك ، في المبحث الســابق، وننتقل في هــذا المبحث ، لبيان معنى (التأويل) وسيتناول الكلام فيــه ما يأتي "—

أولا " ورود لفظ (التأويل) في القرآن والمعنى المراد منه •

ثانيا " معنى (التأويل) في اللغة وفي اصطلاح العلمــاء •

أولا "

ورود لفظ " (التأويل) في القرآن الكريم •

ورد لفظ (التأويل) في القرآن الكريم في سبع ســو ر ، وتكــــرر في خمس عشرة آيــة من هذه الســو ر ، بالاضافة الى أن لفظ (التأويل) تكرر في بعض هذه الآيات أكثر من مــرة •

السورة الأولى "

وأول سورة ورد لفظ (التأويل) فيها هي " سورة آل عمران وهي موضع الخلاف بين العلماء قال تعالى "

(••• فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشا به منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولو ن آمنا به كل من عند ربنا) الآيــة (١)

---

(١) سورة آل عمــران آية (٧)

السورة الثانية" سورة (النساء) قال تعالى "

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) (١)

قال ابن كثير، والجلالان في معنى قوله تعالى "(وأحسن تأويلا) أى أحسن عاقبة ومآلا . (٢)

وورد في حاشية الجمل على الجلالين قوله "(مآلا)أى" فالتأويل هنا بمعنى (المآل والعاقبة ، لا بمعنى التفسير والتبيين ، فله اطلاقان . (٣)

السورة الثالثة" سورة (الأعراف) قال تعالى "

(هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ...) الآية (٤)

(التأويل) في هذه الآية بمعنى العاقبة والمآل .

يقول ابن كثير في قوله تعالى "(هل ينظرون الا تأويله) " أى ما وعدوا به من العذاب والنكال ، والجنة والنار (يوم يأتي تأويله) أى يوم القيامة . (٥)

السورة الرابعة" سورة يونس) قال تعالى "

(بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله)الآية (٦)

قال في تفسير الجلالين "(ولما يأتهم تأويله) أى عاقبة ما فيه

---

(١) سورة النساء آية ٥٩

(٢) ابن كثير " التفسير ١/ ٥١٨، والجلالين ١/ ٣٩٥ مع الجمل ط" ١٣٧٩هـ ، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص١٠٣ ، والزمخشري " الكشاف ١/ ٥٣٦

(٣) حاشية الجمل " الفتوحات الالهية ١/ ٣٩٥

(٤) سورة الأعراف آية ٥٣

(٥) ابن كثير ، التفسير ٢/ ٢٢٠، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٢ وتفسير الجلالين مع حاشية الجمل ٢/ ١٤٨ ، والزمخشري "الكشاف ٢/ ٨٢

(٦) سورة (يونس) آية (٣٩)

من الوعيـــد ، وقد روى ابن تيميـة هذا عن الضحاك • (١)

(فالتأويل) في هذه الآيـة كسابقتها بمعنى العاقبة والمآل •

السورة الخامسة" ســـورة (يوسف) عليه الصلاة والسـلام •

وقد تكرر لفظ(التأويل) فيها في ثماني آيـــات هـــي" —

قوله تعالى " مخبرا عن قول يعقوب لابنه يوسف عليهما الصلاة والســلام"

(وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث) الآيــة •

وقوله تعالى " (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث)

وقوله تعالى " (ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما اني أراني أعصـــر خمرا وقال الآخـر اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكـــل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين • قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) الآيـــة •

وقوله تعالى " (قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ، وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون)

وقوله تعالى " في خطاب يوسف لأبيه عليهما الصلاة والسلام "

(ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هـــذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا •••) الآية •

وقوله تعالى " حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام"

(رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث) (٢)

---

(١) تفسير الجلالين مع حاشية الجمل ٢/ ٣٥٠، وابن تيميـــة تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٢ ، والزمخشري " الكشاف ٢/ ٢٣٨•

(٢) الآيات من سورة يوسف عليه الصلاة والسلام على الترتيب (٦ ، ٢١ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ١٠٠ ، ١٠١)

(فالتأويل) الوارد في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام المتعلق بالرؤيـــا •
بمعنى " (التفسير والبيان) من غير خلاف بين المفسرين ـ فيما أعلم ـ (١)
ماعدا قوله تعالى من تلك السورة "
(قال لا يأتيكما طعام ترزقانه •••) الآية فقد ذكر المفسرون فيها قوليـــن (٢)
" الأول " بمعنى " التفسير • والثاني " بمعنى " الماهية والكيفية (أى الحقيقة

السورة السادسة "
سورة (الاسراء) قوله تعالى "
(وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خيـــر
وأحسن تأويلا) (٣)
أى أحسن مآلا وعاقبـــة • (٤)

السورة السابعة "
ســـــورة الكهف •
وقد ورد لفظ (التأويل) فيها بمعنى التفسير في آيتين منها هما "
قوله تعالى "
(قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا)
وقوله تعالى "
(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنـــز
لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا
كنزهما رحمـــة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل مالم تسطع
عليه صـــبرا) (٥)

---

(١) ابن كثير " التفسير ٢ / ٤٦٩ ، ٤٧٣ ، والجلالين مع حاشية الجمل ٢ / ٤٣٥ ، ٤٤٣
(٢) ابن كثير " التفسير ٢ / ٤٧٨ ، وتفسير الجلالين مع حاشية الجمل ٢ / ٤٥٣ ، والزمخشرى " الكشاف ٢ / ٣٢٠ ط " الحلبي ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م
(٣) سورة الاسراء آية (٣٥) (٤) تفسير الجلالين مع حاشية الجمل ٢ / ٦٢٥ (٥) سورة الكهف آية ٧٨ ، ٨٢)

أى هذا تفسير ما ضقت به ذرعا ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداء"(١)
ويتضح لنا مما تقدم من الآيات التى ورد فيها لفظ (التأويل) وأقوال العلماء في تفسيرها أن لفظ (التأويل) الوارد في القرآن الكريم قد استعمل في معنيين "

الأول "

التفسير والبيان ،كما هو واضح من الآيات الواردة في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام من غير خلاف بين العلماء- فيما أعلم - ما عدا قوله تعالى فيها (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) حيث ورد فيها عن المفسرين قولان تقدم ذكرهما •

كذلك ما ورد في سورة الكهف من لفظ (التأويل) أن المراد به التفسير وقد سبق ذكر الآيات بمعناها بما يغني عن اعادته هنا مرة أخرى•

أما المعنى الثاني " من معاني لفظ (التأويل) الوارد في القرآن الكريم فهو العاقبة والمآل ، والمرجع ، والمصير ،كما ورد في الآيات - المتقدمة - من سورة النساء ، والأعراف ، ويونس، ويوسف في قوله تعالى (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) بالأخذ بقول بعض المفسرين بأن المراد بالتأويل فيها (الحقيقة) اذ لعل المفسرين يرون الحقيقة والعاقبة والمرجع والمصير متداخلان اذ أن لكل حقيقة مآلا ومرجعا ولكل مآل حقيقة • والعلم عند الله •

ولم يرد ذكر لآية سورة آل عمران في أى من المعنيين السابقين، وقد أجلنا الكلام عنها والمراد (بالتأويل) فيها حتى نستوفي الكلام عن معنى (التأويل) في اللغة وفي اصطلاح العلماء الذى سننتقل الى البحث فيه •

---

(١) ابن كثير " التفسير ٣/ ٩٨، ١٠٠ ط" الحلبي•

ثانيا "

معنى (التأويل) في اللغة وفي اصطلاح العلماء •

اتضح لنا مما تقدم أن لفظ (التأويل) الوارد في القرآن الكريم لايخلو عن واحد من معنيين ، هما " التفسير والبيان ، أو العاقبة والمآل ، وهنا — تحت هذا العنوان (معنى التأويل في اللغة) — لم يكن هدفنا التعرف — ابتداء على معنى (التأويل) لأن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب ، فلا يمكن أن يكون هناك خلاف بين معنى لفظة ما وردت في القرآن الكريم ، ووردت في اللغة العربيه ، ولكن الهدف من البحث عن معنى (التأويل في اللغة) هو التعرف عما اذا كان هناك معان أخرى غير ما ذكرناه سابقا •

اذ أنه ربما يكون للكلمة في اللغة عدة معان ، والقرآن الكريم قد استعمل واحدا أو اثنين من تلك المعاني دون بقية المعاني •

واللغة العربية — كغيرها من العلوم — قد دونت وحفظت في مؤلفات سميت "(معاجم اللغة) وتعاهدها علماء اللغة بالتأليف والجمع في عصور مختلفة ، ولكن هذه اللغة ليست كغيرها من العلوم ، فهي غير قابلة للاجتهاد ، بل يتوقف البحث والتأليف فيها على سماعها من العرب قبل فساد اللسان العربي بالاختلاط بالأعاجم من الأمم الأخرى•

ومن أقدم تلك المعاجم كتاب (تهذيب اللغة) لأبي منصور محمد ابن احمد الأزهري المتوفى سنة ٣٧٠ هـ ، أي في القرن الرابع الهجري•

وفيه يذكر أبو منصور عن ثعلب عن ابن الأعرابي " أن الأَوْلَ " بمعنى " الرجوع• من آل يؤول أولاً •

وقال الأصمعي " آل القطران يؤول ، أولا إذا خثر •

وآل مالَهُ يؤوله ايالة ، اذا أصلحه وساسه •

ويستشهد الأصمعي بقول لبيد "

بصبوح صافية وضرب كرينة ... بمؤثر تأتاله ابهامها

والشاهد في البيت قوله (تأتاله)

يقول الأصمعي " انما هو (تفتعله) من (ألته) أي أصلحته .

ويقال " طبخت النبيذ حتى آل الى الثلث ، أو الربع " أي رجع .

وآل لحم الناقة " اذا ذهب ، وقال الأعشى "

أكللتها بعد المراح ... فآل من اصلا بها

أي ذهب لحم صلبها .

وقال الليث " الأيّل " الذكر من الأوعال ، والجمع الأيايل .

قال " وانما سمي ، أيّلا ، لأنه يؤول الى الجبال يتحصن بها (١)

وينقل ابن فارس في (مقاييس اللغة) هذه المعاني المتقدمة ويذكر بيتا

للأعشى شاهدا على دعواه ، فيقول "

وآل يؤول " أي رجع . قال يعقوب " (أول الحكم الى أهله ، أي أرجعته

ورده اليهم .

قال الأعشى " (أؤوّل الحكم الى أهله)

وآل جسم الرجل اذا نحف . أي رجع الى تلك الحالة .

ويقول ابن فارس " ومن هذا الباب " تأويل الكلام ، وهو عاقبته وما يؤول اليه

وذلك قوله تعالى " (هل ينظرون الا تأويله) يقول " ما يؤول اليه في وقت

بعثهم ونشورهم (٢)

---

(١) الأزهري " تهذيب اللغة ١٥ / ٤٣٧ وما بعدها . دار الكاتب العربي ١٩٦٧م

بتحقيق الاستاذ " ابراهيم الابياري .

(٢) ابن فارس " مقاييس اللغة ١ / ١٥٩ وما بعدها مادة (أول) دار احياء الكتب

العربية تحقيق عبد السلام محمد هارون . ط . الأولى ١٣٦٦ هـ

ونعود مرة أخرى الى تهذيب اللغة للأزهرى حيث يذكر لنا أقوالا أخرى تؤكد لنا أن التأويل بمعنى المرجع والمصير . يقول أبو منصور الأزهرى" وأما قوله تعالى "

(هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله)(١)

قال ابو اسحاق " معناه " هل ينظرون الا ما يؤول اليه أمرهم من البعث قيل " وهذا التأويل هو قوله عز وجل "(وما يعلم تأويله الا الله) ، اى لا يعلم متى يكون أمر البعث ، وما يؤول اليه الأمر عند قيام الساعة الا الله ، (والراسخون في العلم يقولون آمنا به) أى " آمنا بالبعث .

قال الأزهرى " قلت " وهذا الذى قاله حسن .

وقال ابو عبيد في قول الله تعالى "(وما يعلم تأويله الا الله) التأويل " المرجع والمصير ، مأخوذ من آل يؤول الى كذا ، أى صار اليه . وأولته " صيرته اليه .

واستشهد أبو عبيد على قوله هذا بقول الأعشى "

على أنها كانت تأوّل حبها تأول ربعي السّقاب فأصحبا

يعنى أن حبها كان صغيرا فآل الى العظم ، مثل السقب يكون صغيرا ثم يشب حتى يصير مثل أمه .(٢)

وهذا المعنى المتقدم للفظ(التأويل) الذى ذكره أبو منصور الأزهرى في كتابه (تهذيب اللغة) وذكره ابن فارس في كتابه (مقاييس اللغة) بأن معناه (المرجع والمصير) قد اتفقت عليه جمع المعاجم اللغوية جميع صح سواء ما كان منها مؤلفا في القرن الرابع الهجرى مثل كتابي الأزهرى ، وابن فارس المتقدمين والصحاح للجوهرى ، أو ما كان متأخرا في القرن

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٣

(٢) الأزهرى (ابو منصور محمد بن احمد) " تهذيب اللغة ١٥ / ٤٥٨ ـ ٤٦٠ تحقيق الاستاذ ابراهيم الابيارى . دار الكاتب العربي ١٩٦٧ م

م/ب

السابع الهجرى مثل القاموس المحيط ولسان العرب ، وتاج العروس (١)
ونستعرض هذه المعاجم مرة أخرى للتنقيب عن معان أخرى في اللغة للفظ (التأويل) ونبدأ بتهذيب اللغة للأزهرى المتوفي سنة ٣٧٠ هـ حيث نجده يذكر معنى آخر (للتأويل) وهو " التفسير ".
يقول الأزهرى "
وسئل احمد بن يحي عن (التأويل) فقال " التأويل ، والتفسير ، والمعنى ، واحد ، قلت أى : الأزهرى - ألت الشئ " جمعته وأصلحته ، فكأن (التأويل) جمع معان مشكلة بلفظ واضح لا اشكال فيه .
قال الليث "
التأول والتأويل " تفسير الكلام الذى تختلف معانيه ...) وأنشد "
نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله . (٢)
وقد ذكر هذا المعنى الجوهرى في كتابه (الصحاح) فقال "
التأويل " تفسير ما يؤول اليه الشئ ، وقد أولته ، وتأولته تأولا بمعنى .(٣)
وذكره ايضا الفيروزأبادى في كتابه (القاموس المحيط) وابن منظور في كتابه (لسان العرب) والزبيدى في كتابه (تاج العروس)(٤)

---

(١) الجوهرى (اسماعيل بن حماد) " الصحاح ٤/ ١٦٢٨ مادة (أول) تحقيق الاستاذ احمد عبد الغفور عطار . دار الكتاب العربي بمصر .
والفيروزأبادى " القاموس المحيط ٣/ ٣٣١ مادة (أول) مطبعة السعادة بمصر
وابن منظور " لسان العرب ١١/ ٣٢ مادة (أول) دار بيروت للطباعة والنشر
والزبيدى " تاج العروس ٧/ ٢١٤، ٢١٥ مادة (أول) ط" الأولى ١٣٠٦هـ
(٢) الأزهرى " تهذيب اللغة مادة (أول) ١٥/ ٤٥٨
(٣) الجوهرى " الصحاح مادة (أول) ٤/ ١٦٢٧ تحقيق احمد عبد الغفور عطار
(٤) الفيروزأبادى " القاموس المحيط مادة (أول) ٣/ ٣٣١ مطبعة السعادة بمصر .
وابن منظور " لسان العرب . مادة (أول) ١١/ ٣٣ دار بيروت للطباعة والنشر
والزبيدى " تاج العروس . مادة (أول) ٧/ ٢١٥ ط . الأولى ١٣٠٦ هـ

غير أن ابن منظور ، والزبيدى قد ذكرا في كتابيهما ((لسان العرب))و(تاج العروس) معنى ثالثا للفظ (التأويل) ولكنهما ذكرا هذا القول عمن لا يحتج بهم في اللغة اذ أنهم ليسوا رواة لغة لأنهم وجدوا في عصور متأخرة ، وأقدم هؤلاء المنقول عنهم هذا المعنى هو ابن الجوزى الحنبلي المتوفي في القرن السادس الهجرى. فقد ذكر ابن منظور في كتابه (لسان العرب) عن ابن الأثير (سنة ٤٤ ٦٠٦) (أن المراد بالتأويل " نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي الى ما يحتاج الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ) (١)

والزبيدى ذكر هذا المعنى للتأويل فقال "

(وفي (جمع الجوامع) ـ للسبكي ـ هو " حمل الظاهر على المحتمل المرجوح ، فان حمل لدليل فصحيح ، أو لما يظن دليلا ففاسد ، أو لا لشئ فلعب لا تأويل .

وقال ابن الكمال" التأويل " صرف الآية عن معناها الظاهر الى معنى تحتمله اذا كان المحتمل الذى يصرف اليه موافقا للكتاب والسنة ...

وقال ابن الجوزى " التأويل " نقل الكلام عن موضعه الى ما يحتاج في اثباته الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ)١٠هـ . (٢)

والذى يبدو أن ما ذكره ابن منظور والزبيدى من هذا المعنى (للتأويل) انما ذكراه استطرادا ، لا أنه من معانيه اللغوية ، لما قد منا ، من أن هؤلاء العلماء المنقول عنهم ذلك المعنى لم يعرفوا برواية اللغة عن العرب، ولم يشتغلوا بها ، بل كانوا بين فقيه أو أصولي، بالاضافة الى أن هذه الأقوال لم يورد لها أصحابها شواهد من كلام العرب أو من أشعارهم ، ومما يؤكد لنا هذا الاتجاه أن ابن الجوزى نفسه ـ وهو أحد من نقل عنهم الزبيدى هذا المعنى الاصطلاحي ـ قد قال في تفسيره (زاد المسير) عند الكلام في معنى التأويل، قال ابن الجوزى عند ذلك ما نصه "

---

(١) ابن منظور" لسان العرب . مادة (أول) ١١/ ٣٣ دار بيروت للطباعة والنشر وابن الأثير " النهاية في غريب الحديث١ / ٨٠ ط" الحلبي ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م

(٢) الزبيدى" تاج العروس" مادة (أول) ٧/ ٢١٥ ط"الاولى سنة ١٣٠٦ هـ

وفي التأويل وجهان " احدهما"
التفسير .

والثاني"
العاقبة المنتظرة .(١)

وهذا القول من ابن الجوزى لمعنى (التأويل) الذى ذكره في تفسيره — وهو يخالف ما نقله عنه الزبيدى — يبدو أنه يريد به المعنى اللغوى (للتأويل) لأنه هو الذى يذكره المفسرون اذا أرادوا ذكر المعنى اللغوى (للتأويل) فالرازى — مثلا — يقول في التفسير الكبير "
(التأويل) هو التفسير ، وأصله في اللغة ، المرجع والمصير ، من قولك " آل الأمر الى كذا ، اذا صار اليه وأولته تأويلا ، اذا صيرته اليه ، هذا ، معنى التأويل في اللغة . (٢)

وهذا المعنى الذى ذكره كل من ابن الجوزى ، والرازى ، والذى ذكره أصحاب المعاجم اللغوية ، هو الذى ذكره ابن جرير الطبرى في تفسيره ، وهو أسبق من هؤلاء جميعا ، اذ أنه عاش فيما بين عام (٢٢٤ — ٣١٠ هـ) حيث قال في ذلك " (وأما معنى (التأويل) في كلام العرب ، فانه التفسير ، والمرجع والمصير) (٣)

وانشد بيت الأعشى — المتقدم — (على أنها كانت تأول حبها ...)

ونستنتج من هذا البحث أمرين "

الامر الأول "
أن المعاجم اللغوية قد اتفقت على أن لفظ (التأويل) يستعمل في معنيين "

---

(١) ابن الجوزى " زاد المسير ١/ ٣٥٤ منشورات المكتب الاسلامي بدمشق

(٢) الفخر الرازى " التفسير الكبير ٧/ ١٨٨ الطبعة الأولى .

(٣) ابن جرير الطبرى " جامع البيان عن تأويل آى القرآن (تفسير الطبرى) ٦/ ٢٠٤

الأول "
التفسير والبيان .

الثاني "
المرجـــع والمصـــير .

وهذان المعنيان هما اللذان يذكرهما المفسرون في تفسيرهم للفـــظ (التأويل) على أنهما المعنى اللغوي كما سبق بيان ذلك عن ابن جرير الطبري، وابن الجوزي، والفخر الرازي، وهذان المعنيان هما اللذان سادا في استعمالات السلف للفظ (التأويل) منذ عهد النبي صلى اللـــه عليه وسلم، والصـحابة والتابعين فقد ورد استعمـال الرسول صلـــى الله عليه وسلم (التأويل) بالمعنيين السابقين، فمن استعماله صلـــى الله عليه وسلم (التأويل) بمعنى التفسير قوله صلى الله عليه وسلم داعيا لابن عباس رضي الله عنهما "(اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) (١) ومن استعماله صلى الله عليه وسلم للتأويل بمعنى المرجع والمصير، قوله صلى الله عليه وسلم في بيان قول الله تعالى "(قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) (٢) وذلك عندما سئل عن معناها فقال صلى الله عليه وسلم " (أما انها كائنة ولم يأت تأويلهـا بعـــد) أي مآلها ومصيرها .

والحديث أخرجه الامام احمد بن حنبل في مسنده ، والترمذي ذكر ذلك الحافظ ابن كثير . (٣)

وفي قول الله تعالى "(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضـــــركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون)(٤)

---

(١) ابن ماجه - المقدمة باب (١١) حديث (١٦٦) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

(٢) سورة الانعام آية (٦٥)

(٣) ابن كثير " تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٤٠ ط. الحلبي ، وابن تيميــة " تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٦، ١٠٧ ، نظر مسند الامام احمد ٣/ ٣٨ حديث (١٤٦٧) تحقيق احمد محمد شاكر و صحيح الترمذي بشرح ابن العربي ١١/ ١٨٧ تفسير سورة الانعام

(٤) سورة المائدة آية ١٠٥

قال عبد الله بن مسعود (لم يجئ تأويل هذه بعد ، فان القرآن الكريم أنزل حيث أنزل ومنه آى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ، و منه آى قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنه آى قد وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم بيسير ، ومنه آى يقع تأويلهن بعد اليوم ، ومنه آى تأويلهن عند الساعة ، ماذكر من الشعة ، ومنه آى يقع تأويلهن يوم الحساب ماذكر من الحساب والجنة والنار ، فما دامت قلوبكم واحدة ، وأهواؤكم واحدة ، ولم تلبسوا شيعا ، ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا وانهوا ، واذا اختلفت القلوب والأهواء ، والبستم شيعا ، وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه ، وعند ذلك جاء تأويل هذه الآيــة) (١)

فكلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية يدل على أن تأويل الآيــة (يا ايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم) الآية هو وقوع الاختلاف بين المسلمين بحيث يصبحون شيعا يذيق بعضهم بأس بعض ، ووقوع هذه الأمور انما يكون مشاهدا وواقعا حقيقة وهو المرجع والمصير الذى ينتظر في يوم (ما) لاتفسيرا لمعان وألفاظ .

"الأمر الثاني"

من نتائج هذا البحث اللغوى ، اننا قد وجدنا العالمين " ابن منظور ، والزبيدى ، قد ذكرا في كتابيهما " (لسان العرب) و(تاج العروس) معنى ثالثا للفظ (التأويل) وهو " نقل الكلام عن موضعه الى ما يحتاج في اثباته الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ .

---

(١) ابن كثير " تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٠٩ ، ١١٠ ،
وابن تيميــة " تفسير سورة الأخلاص ص ١٠٦

ومما يجدر ذكره أن ابن منظور ، والزبيدى قد انفردا من بين سائر المعاجم اللغوية بذكر هذا المعنى الثالث، ولم يذكرا عليه دليلا من كلام العرب ، سواء كان شعرا أو نثرا ، كما فعلا في المعنيين المتقدمين ، بالاضافة الى أن هذين العالمين (ابن منظور ، والزبيدى) متأخران في الزمن فانهما عاشا في القرن السابع الهجرى.

كما أن من نقلا عنه هذا المعنى مثل " ابن الجوزى ، والسبكي وابن الكمال وغيرهم ليسوا ممن يحتج بهم في اللغة ولم يكونوا رواة لغة بل كانوا مابين فقيه أو أصولي أو متكلم . وعلى الرغم من كل ما تقدم فقد كتب لهذا المعنى الذيوع والانتشار بين الفقهاء والأصوليين والمتكلمين ، واستعملوه على أوسع نطاق بحيث أصبح هو المتبادر الى الذهن عند سماع لفظ(التأويل) والمتعارف عليه بينهم وأخذ طريقه الى معاجم اللغة المتأخرة السابقة الذكر ، وقد تنوسي معه المعنيان المذكوران في معاجم اللغة المتقدمة في القرن الرابع وما قبله ، واللذان كانا معروفين في استعمالات الصحابة والتابعين دون غيرهما من المعاني وأصبح هذا المعنى ـ أعني ـ صرف اللفظ عن ظاهره .. .. الخ . هو المعنى الاصطلاحي بين العلماء المتأخرين دون علماء السلف.

ومما يتعلق بهذا البحث ما ذكره الاستاذ (محمد السيد الجليند) في كتابه (الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل) من وضع اللسان الأولى على نشأة هذا المعنى الاصطلاحي الذى طغى على المعنى اللغوى فيقول "

((ان استعمال(التأويل) بهذا المعنى ، كما يبدو لي نشأ تحت ظروف عقائديه خاصة ، وأخذ ينمو هذا الاستعمال تحت أعين حارسة عليه تحوطه وترعاه بعنايتها حتى كتب له الذيوع والانتشار

ولو ألقينا نظرة فاحصة في تاريخ الفرق السياسية والكلامية، وخاصة في ظروف نشأة الشيعة والباطنية ... فربما وجدنا بداية الطريق .

واذا ألقينا نظرة على معتقدات هذه الفرق ، وخاصة على ما أسموه بعلم الظاهر والباطن ، وما وضعوه من مصنفات حول هذا العلم فقد نجد ما يقوى هذا الافتراض .

واذا علمنا أن هناك أثرا تردد كثيرا في كتب الشيعة وهو (لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل) ألا نكون بذلك قد وضعنا يدنا على بداية الطريق ؟ لقد تردد الاثر المذكور في كثير من المصنفات الاسماعيلية ، وخاصة في كتب القاضي الفاطمي (النعمان بن حيوة التميمي) مثل (أساس التأويل) و (تأويل الدعائم) وتردد أيضا في كتب المتصوفة ، فنجده عند الغزالي في (الاحياء) و (المشكاة) مرفوعا الى علي بن ابي طالب . وعند الشيعة مرفوعا الى الامام جعفر الصادق .

ولو وضعنا الأثر أمام أعيننا ، ووضعنا بجانبه التعريف الاصطلاحي (للتأويل) لوجدنا الشبه واضحا ، والعلاقة قوية بين (التأويل) بمعناه الاصطلاحي ، وبين الأثر المتردد على ألسنة الشيعة والصوفية السابق ذكره . فهنا ظاهر ، وباطن ، وتنزيل ، وتأويل ..

وفي التأويل الاصطلاحي . ظاهر غير مراد ، وباطن مراد يجب البحث عنه ، فالقول بالباطن هو الاساس الذي وضع لأجله تعريف (التأويل) بهذا المعنى . ومن هنا استطاع الباطنية أن يستغلوا (التأويل) بهذا المعنى أسوأ استغلال مستندين في ذلك الى الأثر المذكور (لكل ظاهر باطن ، ولكل تنزيل تأويل) ، ووضعوا قواعد عقائدهم تحت ستار علم الباطن ، بعيدا عن أعين الظاهر المعروف عنه اللفظ .

وعلى الرغم من أن الأستاذ الجليند لايملك أدلة حاسمة تؤكد له قوله هذا ــ كما يقول هو ذلك ــ الا أنه لايشك في (أن النصيب الأكبر في ذلك يرجع الى الدور الذى قام به اصحاب الاتجاه الباطني من الصوفيه والشيعة ، يشاركهم في هذا كثير من الفرق الذين نادوا بفكرة الامام المعصوم ، الذى يؤتى من لدنه تأويل التنزيل ، فلقد ساهم هؤلاء جميعا في شيوع استعمال (التأويل) بهذا المعنى ، واختاروا لشيوع آرائهم وذيوعها الشخصيات التى يحسن المسلمون الظن بهم مصوبين بذلك سهامهم الى ظواهر الشرع فأبطلوها ، والى كتاب الله فحرفوه) اه (١)

واذا أضفنا الى كلام الاستاذ الجليند ما قام به علماء البلاغة من التوسع في التأليف ، وتقسيمهم الكلام الى حقيقة ومجاز ، وتعريفهم المجاز بأنه " استعمال اللفظ في غير ما وضع له لقرينة ، فاننا نجد أن عمل البلاغيين هذا قد ساهم الى حد كبير في انتشار هذا المعنى الاصطلاحي لمعنى (التأويل) بدرجة أصبح معها هو المتعارف عليه ، والمتبادر الى الذهن عند سماع كلمة (التأويل) • فصرف اللفظ عن ظاهره للمعنى المرجوح في المعنى الاصطلاحي (للتأويل) يشبه الى حد كبير تعريف المجاز " بأنه استعمال الكلمة في غير ما وضعت له لقرينة •

ولم يكن الهدف من كل ما تقدم حول هذا المعنى الاصطلاحي المخالف للمعنى اللغوى ، ولما ورد في القرآن الكريم من معنى (التأويل) لم يكن الهدف من ذلك انكار هذا المعنى ، أو الحظر من استعماله ، بل كان الهدف هو التعرف على نشأته ، وبيان الظروف التى ساعدت على انتشاره ، حتى انه تنوسي معه المعنى الحقيقي (للتأويل) كما ورد في اللغة ، وفي القرآن الكريم ، ان طائفة من الناس ــ مثلا ــ كالفقهاء ، والأصوليين ــ اذا ما اصطلحوا على تعريف بينهم ، فلا يعاب عليهم ذلك ، ولا يعترض عليهم فعلهم ، شريطة ان لايكون ذلك الاصطلاح مفروضا على غيره من المعاني الأساسية التى وردت في اللغة أو في القرآن الكريم ، كما أريد لهذا المعنى الاصطلاحي (للتأويل) أن يكون •

---

(١) محمد السيد الجليند " الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص٤٨ ــ ٤٩ ط مجمع البحوث الاسلامية ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م

٣/ب

ولكننا اذا ماأردنا أن نعمم هذا التعريف الاصطلاحي (للتأويل) وأن نجعله قاعدة للتفسير عليها في فهم كثير من الآيات والأحاديث على أنه هو المراد (بالتأويل) فانه ربما يجرنا الى القول بما نقل عن الفلاسفة من أن ظواهر الشرع غير مرادة وانما هي تخييل للحقائق لينتفع بها الجمهور، بالرغم من أن أحدا من الذين قالوا بهذا التعريف الاصطلاحي (للتأويل) وهو صرف اللفظ عن ظاهره الى معنى آخر لم يذهب الى هذا الرأى، ولم يقل به •

والنتيجة الأخيرة التي نخرج بها من هذا البحث هي أن (للتأويل) ثلاثة معان هي "

المعنى الأول "

التفسير والبيان، وهذا المعنى ورد في اللغة وفي القرآن الكريم، واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائه لابن عباس رضي الله عنهما، واصطلح عليه السلف مثل ابن جرير الطبرى عندما يقول "(تأويل كذا) أو القول في تأويل الآية •

المعنى الثاني "

المرجع، والمصير، والعاقبة، وهو أيضا معنى ورد في اللغة وفي القرآن الكريم، واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى "(قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا ...) الآية • و استعمله ابن مسعود رضي الله عنه في الحديث الوارد عنه في تفسير قوله تعالى "(يا ايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) الآية •

المعنى الثالث"

هو صرف اللفظ عن ظاهره ... الخ وهو ما اصطلح عليه المتأخرون ولم يرد هذا المعنى في اللغة أو في القرآن الكريم ، ولم يكن معروفا في عهد الصحابة ولا القرون الثلاثة الأولى ، بل عرف في عصور متأخرة عن القرون المفضلة ، وذلك بعد القرن الرابع تقريبا ، بدليل عدم وجود ذكر له في القرن الرابع الهجري.

وبعد أن اتضح المعنى المراد بلفظ (التأويل) في اللغة ، وفي القرآن الكريم ، وفي الاصطلاح ، نحاول أن نبين المعنى المراد من (التأويل) الوارد في سورة آل عمران والتى قال الله فيها "(فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله) الآية .

هل المراد " وما يعلم تفسيره وبيان معناه الا الله ؟

أو المراد " وما يعلم عاقبته ومرجعه الا الله ؟

[أو المراد " وما يعلم المعنى المرجوح الغير الظاهر من اللفظ الا الله ؟] (١)

(١) يحذف ما بين المعقوفين

لنتبين ذلك ، ونقف على الحقيقة بقدر المستطاع نعود الى بيان سبب نزول آية سورة آل عمران ، والقراءة الواردة في تلك الآية .

سبب نزول آية آل عمران "

لقد ذكر العلماء أن من فوائد معرفة أسباب النزول تحديد المعنى المراد من الآية ، وآية آل عمران وهي قوله تعالى "(هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات..) الآية ذكر العلماء سببين لنزولها "

السبب الأول "

أنها نزلت في اليهود الذين أرادوا أن يعرفوا مدة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته من خلال الحروف المقطعة في أوائل بعض السور، وذلك على طريقتهم في استخدام حساب الجمل في الحروف المقطعة، فتشابه عليهم الأمر لتكرارها في أوائل سور كثيرة فعجزوا عن الوصول الى غايتهم.

وقد رجح ابن جرير الطبرى - رحمه الله تعالى - هذا القول وقال بأنه أشبه بتأويل الآية.

السبب الثاني "

قالوا انها نزلت في وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وجادلوه في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام، وأرادوا أن يستدلوا من قوله تعالى "(كلمته وروح منه)(١) ومن قوله (انا نحن) (٢) على أن الآلهة ثلاثة.

ثم دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى المباهلة كما قال تعالى "(فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ..) الآية (٣) من سورة آل عمران، وأيا كان السبب في نزول الآية سواء أكان ما ابتغته اليهود من معرفة قيام الساعة بواسطة الحروف المقطعة، أو ما ابتغاه النصارى من الاستدلال على أن الآلهة ثلاثة من قوله تعالى "(انا، ونحن، وكلمته، وروح منه فان الفريقين قد استخدموا في مطلبهم أمورا متشابهة وكان قصدهم سيئا وهو ابتغاء الفتنة بين المسلمين وايجاد الخلاف

---

(١) سورة النساء قوله تعالى (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ..) الآية آية (١٧١) (٢) سورة الحجر قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) آية (٩) وسورة الانسان قوله تعالى " (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) آية (٢٣)

(٣) سورة آل عمران آية (٦١)

بينهم وتحقيق أهدافهم الخاصة بما استدلوا به .

وقد ذكر ابن جرير الرأيين معا ثم رجح الرأى القائل بأنها في اليهود حيث قال " والذى يدل عليه ظاهر الآية أنها نزلت في الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتشابه ما أنزل اليه من كتاب الله ، اما في أمر عيسى ، وا ما في مدة أكله وأكل أمته ، وهو بأن تكون في الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتشابهه في مدته ومدة أمته أشبه ، لأن قوله (وما يعلم تأويله الا الله) دال على أن ذلك اخبار عن المدة التي أرادوا علمها من قبل المتشابه الذى لايعلمه الا الله ، فأما أمر عيسى ، وأسبابه فقد اعلم الله ذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته ، وبينه لهم فمعلوم أنه لم يعن به الا ما كان عليه خفيا من الآجال . اهـ (١)

ولكن ابن جرير يقول في موضع آخر كلاما يحقق به ما قيل من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، حيث يقول " (وهذه الآية وان كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك ، فانه معنى بها كل مبتدع في دين الله بدعة فمال قلبه اليها تأويلا منه لبعض متشابه آى القرآن ثم حاج به وجادل به أهل الحق ، وعدل عن الواضح من أدلة آية المحكمات ارادة منه بذلك اللبس على أهل الحق ... الخ) (٢)

---

(١) ابن جرير الطبرى " التفسير ٦/ ١٩٥، ١٩٦

(٢) ابن جرير الطبرى " التفسير ٦/ ١٩٨

((الخلاف في الوقف في آية آل عمران))

لقد اختلف الصحابة ومن بعدهم في الوقف في آية آل عمران هل الوقف على قوله تعالى "(ومايعلم تأويله الا الله) أو أن الوقف على قوله تعالى "(والراسخون في العلم) ؟ في المسألة قولان مشهوران

الأول "

الوقف على لفظ الجلالة من قوله تعالى "(ومايعلم تأويله الا الله)
وبهذا القول " قالت عائشة رضي الله عنها ، وابن عباس وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وعمر بن عبد العزيز ، ومالك بن انس وغيرهم ، رضي الله عنهم •

الثاني "

الوقف على قوله تعالى " والراسخون في العلم)
وبهذا القول قال " ابن عباس فيما نقله عنه مجاهد أنه قال " أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ، وقال مجاهد " والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به ، والربيع بن أنس رضي الله عنهم ، وغيرهم • (١)

ومن العلماء من فصل في هذا المقام بما يجمع بين القولين السابقين لا سيما وأن بعض الصحابة كابن عباس ورد عنه القولان معا كما هو واضح فقال "

(التأويل) يطلق ويراد به في القرآن معنيان "

---

(١) ابن جرير الطبرى" التفسير ٦/ ٢٠٢ وما بعدها ، وابن تيمية التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٣/ ٥٤، ٥٥ وابن كثير " التفسير ١/ ٣٤٧

أحدهما "

(التأويل) بمعنى حقيقة الشئ، وما يؤول أمره اليه، ومنه قوله تعالى (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل) وقوله تعالى (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله) أى حقيقة ما أخبر وابه من أمر المعاد، فان أريد بالتأويل هذا فالوقف على لفظ الجلالة لأن حقائق الامور وكنهها لا يعلمها على الحقيقة الا الله عز وجل، ويكون قوله " (والراسخون في العلم) مبتدأ و(يقولون آمنا به) خبره.

ثانيهما "

واما ان أريد بـ(التأويل) المعنى الآخر، وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشئ كقوله تعالى "(نبئنا بتأويله) أى بتفسيره فان أريد به هذا المعنى فالوقف على قوله تعالى "(والراسخون في العلم) لأنهم يعلمون و يفهمون معنى ما خوطبوا به بهذا الاعتبار وان لم يحيطوا علما بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه[1] وعلى هذا فيكون قوله تعالى " يقولون آمنا به) حالا من الراسخين وهذا قول حسن ورأى جيد يجمع بين القراءتين في الآية والأقوال المنقولة عن الصحابة من غير تكلف ولا تعسف.

---

(١) ابن كثير " التفسير ١/ ٣٤٧، وابن تيمية " التدمرية ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣/ ٥٥
القاضي عبد الجبار " متشابه القرآن ١/ ١٥، والمغنى (اعجاز القرآن) ١٦/ ٣٧٩

بيـــان الراجــح مـــن أقوال العلمـــاء فـــي ((المحكم والمتشـــــــابـــه))

وبعد أن اتضح لنا معنى (التأويل) في القرآن الكريم ، وفي اللغة وفي اصطلاح العلماء ، وبعد أن ذكرنا القول الجامع بين الأقوال بشـــأن الوقف في آية آل عمران ، يمكننا الن نقول بعد هذا كله " ان (التأويل) في آية آ ل عمران " يراد به التفسير والبيان على قراءة من عطف (والراسخون في العلم) على لفظ الجلالة ، ويراد به " الحقيقة والعاقبة والمآل علـــى قراءة من وقف على لفظ الجلالـة ، وبناء على هذا فان ما تقـدم من أقـوا ل العلماء حول تحديد معنى كل من المحكم والمتشابه ، وما رأيناه هنـــاك من خلاف بينهم يمكننا الآن أن نتبين أن ما كنا نعتبره خلافا هناك قـــد اتضح هنا عدم وجود خلاف بين تلك الأقوال طالما أننا قد استحســـنا القول بالتفصيل في المسألة والأخذ بالمعنيين للفظ (التأويل) وهما التفسير والبيان والحقيقة والمآل والمرجع ، فأخبار القيامة وعلاماتها وما يتعلـــق بأمـــور البعث والحساب والجزاء وما يتعلق بالجنة والنار لايعلمهـــا الا الله بمعنى لايعلم حقيقتها ومآلها الا الله وحده فقد انفرد بعلمهـــا جل شأنه ولم يطلع أحدا من خلقـه عليها ، ويدخل في هذا قول من قـال " ان الصفات من المتشابه لأن حقيقة الصفات لايعلمها على حقيقتها أحـــد من الخلق كما أن الله تعالى لاأحد يحيط به علما ، أما تفسير تلك الألفاظ

فلا شك أن كثيرا من العلماء يعلمون بها ولاتخفى على كثير منهم وقد سمى ابن عباس رضي الله عنه ما عرضه عليه نافع بن الأزرق متشابها(١) ومع ذلك فقد بين له معانيها وأزال الاشكال الظاهر من اللفظ فالتشابه بهذا الاعتبار هو تشابه نسبي ،كما قال ابو الحسن الأشعري " لابد من أن يكون في كل عصر من العلماء من يعلم تأويل ما تشابه من القرآن •

والتأويل بهذا الاعتبار هو التفسير ، ويدخل تحته حينئذ الأقوال الأخرى التى ذكرها العلماء مثل قول من قال المتشابه ما احتمل وجوها وغير ذلك من الأقوال المتقدمة •

وعلى هذا فقد زال الاشكال — في نظرى — واتضح المعنى من اختلاف وجهات نظر العلماء التى ظهرت في تعدد اقوالهم في المحكم و المتشابه حيث يمكن حمل بعض الآراء على التفسير والبيان ، وحمل البعض الآخر على الحقيقة والمآل والمصير ، والله سبحانه أعلم •

---

(١) انظر القول الثاني من أقوال ابن عباس في المحكم والمتشابه ص ٦٧|٦٨

المبحث الخامس

((التفويض))

يقصد بالتفويض في كلام العلماء ، التسليم المطلق والتوكل التام على الله تعالى في جميع الأمور التي يحاول الانسان الوصول اليها .

أما التفويض في الناحية العلمية فهو اضافة العلم بالشئ الى الله تعالى وذلك عند استقصاء المعنى المراد ، وعدم ادراكه ، فيقول الواحد منا " الله اعلم ، والتفويض بهذا المعنى من علامات الورع والتقوى ، وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في هذا ، وذلك عندما سأله جبريل عليه السلام ، متى الساعة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام " ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، فامسك عليه الصلاة والسلام عن بيان وقتها لعدم علمه بذلك . ثم اخبر فقط عن علاماتها .

وقد ورد في كتاب الله آية واحدة اشتملت على كلمة (التفويض) وذلك في سورة غافر (المؤمن) عندما نصح مؤمن آل فرعون قومه ، ودعاهم الى الايمان بالله تعالى وتوحيده ، والتصديق بالبعث والجزاء ، فلم يستجيبوا له وعجزه عن قبولهم لدعوته ، واصرارهم على الكفر ، حينئذ لجأ الى الله تعالى فقال " (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد) (١)

---

(١) سورة غافر (المؤمن) آية (٤٤)

((الفصـــــــــل الثـــــاني))

((الصفـــــات بوجـــه عـــام))

((الفصـــــل الثــــــاني))

((الصفات بوجــه عــام))

يقسم العلماء صفات الله تعالى الى قسمين "(١)

١ـ صفات خـبرية ؛ وهي الصفات التي ورد ذكرها في الخبر سواء كان في الكتاب أو في السنة ، ولم يقم دليل عقلي على ثبوتها ، و سنرجئ الكلام عليها الى الفصل الثالث.

٢ـ صفات معان" وهي ما أفادت معنى زائدا على الذات ، وقام الدليل العقلي على ثبوتها لله تعالى ، وذلك مثل" الحياة والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والسمع ، والبصر، والكلام ، فاللـــه تعالى ، حي بحياة ، عالم بعلم ، قادر بقدرة .

ولكي نتعرف على رأى ابن الجوزى وموقفه من هذه الصفات ، نعرض أولا آراء الفرق الأخرى السابقة عليه في هذا الموضوع ، ثم نتبعها برأيه فيـــه لنرى بعد ذلك الى أى رأى من آراء تلك الفرق يميل ويعتقد ، وهنـــاك خمس فرق مشهورة سابقة على ابن الجوزى تكلمت في موضوع الصفات وهي"

١ـ الجهمية ، ٢ـ المعتزلــــة ، ٣ـ الفلاسفــــة ، ٤ـ الأشاعــــرة

٥ـ الكراميـــــة .

وقد اتخذت هذه الفرق ازاء صفات المعاني ـ من حيث النفي والاثبات ـ مواقف متباينة ، فانقسمت الى فريقين"

أولا" فريق النفاة وهم"

الجهمية ، والمعتزلـة ، والفلاسفة .

ثانيا" فريق المثبتين وهم "

الأشاعرة ، والكراميــــة .

ونستهل الحديث بتفصيل آراء فريق النفاة فنقول " ـ

(١) هذا التقسيم عند المتكلمين . أما السلف فيقسمون الصفات الى صفة ذات وصفة فعل وهي الصفات الاختيارية ، وهي توقيفية . وطريق ثبوتها الاول هو النقل الصحيح .

١ـ الجهمية "

أتباع الجهم بن صفوان ، وهؤلاء يرون أنه لايصح أن يوصف الله تعالى بوصف يجوز اطلاقه على أحد من خلقه ، وينقل لنا البغدادى رأى الجهم في ذلك فيقول "

((... وامتنع ـ أى الجهم ـ من وصف الله تعالى ، بأنه شيء أو حي ، أو عالم ، أو مريد ، وقال " لا أصفه بوصف يجوز اطلاقه على غيره ، كشيء ، وموجود ، وحي ، وعالم ، ومريد ، ونحو ذلك .

ووصفه بأنه قادر ، وموجد ، وفاعل ، وخالق ، ومحي ، ومميت ، لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده)) (١)

ولسائل أن يسأل فيقول " كيف يصف الجهم الله بأنه قادر ، مع أن العبد يتصف بالقدرة ؟ فيقال ان فلانا قادر على فعل كذا فقد وصف الله بوصف جاز اطلاقه على العبد ، ولكن هذا الاعتراض يسقط اذا علمنا أن جهم بن صفوان يرى أن العبد مجبور على فعله وأنه كالريشة في مهب الريح تحركها كيف تشاء ، فاذا أضيف الفعل الى العبد كان على سبيل المجاز لا على الحقيقة كما يقال " جرى النهر ، وتحركت الشجرة .

٢ـ المعتزلة "

تعتبر فرقة المعتزلة ، من نفاة الصفات ذلك أنهم ينفون زيادتها على الذات ، أما الصفات من حيث هي ، فانهم يرون أن الله تعالى عالم قادر ، حي ، موجود ، ولكنهم يختلفون في كيفية استحقاقه تعالى لهذه الصفات .

---

(١) البغدادى " الفرق بين الفرق ص ٢١١ ـ ٢١٢

الشهرستاني " الملل والنحل ١ / ٨٦ ط" الحلبي ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٨ م

فقال أبو علي الجبائي، وأبو الهذيل العلاف "
(ان الله تعالى يستحق هذه الصفات لذاته ، فهو سبحانه ، عالم لذاته ، قادر لذاته مريد لذاته .
وقال ابو هاشم " ان هذه الصفات أحوال وراء الذات ، فالله تعالى عالم بعالمية، قادر بقادرية ، وهذه الأحوال لا موجودة ولا معدومة) (١)

وقد ذهبت المعتزلة الى القول بعدم زيادة الصفات على الذات لأنهم يرون (أنه لا صفة للقديم أخص من كونه قديما ، أو مما يقتضي كونه قديما ، من الصفة النفسية) (٢) وأن في اثبات زيادة تلك الصفات على الذات ، ما يؤدي الى القول بتعدد القدماء ، الأمر الذي يستلزم أن تتصف هي الأخرى بصفات الله تعالى مما يؤدي الى مشاركته تعالى في الألوهية .

يقول القاضي عبد الجبار ، بعد أن نفى أن يكون الله تعالى يستحق هذه الصفات لمعان قديمة "
(والأصل في ذلك ، أنه تعالى ، لو كان يستحق هذه الصفات لمعان قديمة وقد ثبت أن القديم ، انما يخالف مخالفه يكون قديما ، وثبت أن الصفة التي تقع بها المخالفة عند الافتراق ، بها تقع المماثلة عند الاتفاق ، وذلك يوجب أن تكون هذه المعاني مثلا لله تعالى ، حتى اذا كان القديم تعالى عالما لذاته ، قادرا لذاته ، وجب في هذه المعاني مثله ، ولوجب أن يكون الله تعالى مثلا لهذه المعاني) (٣)

---

(١) القاضي عبد الجبار " شرح الأصول الخمسة ص ١٨٢
(٢) = = = " المغني (رؤية الباري) ٤/ ٢٥١
(٣) = = = " شرح الأصول الخمسة ص ١٩٥

٣ـ الفلاسفة "

أما الفلاسفة ، فقد اتفقوا مع المعتزلة على نفي صفات المعاني عن الله تعالى ، الا أن طريقة كل منهما في الاحتجاج لنفي تلك الصفات تختلف عن طريقة الأخرى.

فبينما ترى المعتزلة أن اثبات الصفات يؤدي الى القول بتعدد القدماء ، نجد أن الفلاسفة لا يمانعون من تجويز تعدد القدماء، مثل العقول العشرة ، والأفلاك ، فانها عندهم قديمة ، ولكنهم ينفون الصفات عن الله تعالى خشية التركيب ، لأن الله عندهم ، واحد بسيط ، وما ورد في الشرع من صفات الله انما ترجع الى ذات واحدة وهذه الصفات اما أنها سلبية تنفيد سلب نقص لا يليق بالذات ، أو اضافات اعتبارية .

يقول ابن سيناء "

(فاذا حققت تكون الصفة الأولى لواجب الوجود أنه إنّ وموجود ثم الصفات الأخرى يكون بعضها المتعين فيه هذا الوجود مع اضافة ، وبعضها هذا الوجود مع السلب ، وليس واحدا منها موجبا في ذاته كثرة البتة ولا مغايرة) (١)

ويتضح لنا من نص ابن سيناء أن الفلاسفة لا يصفون الله الا بأنه (إنّ وموجود) ، والوجود لا يوجب كثرة فيه وما عدا ذلك من الصفات فهم يرون أنها اضافات أو سلوب ، فهم بهذا يتفقون مع المعتزلة في نفي الصفات ، ولكن من جهة نفي التركيب في ذاته تعالى .

---

(١) ابن سيناء" النجاة ص ٢٥١ الطبعة الثانية ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م

٢/٢

وبعد استكمالنا لعرض آراء الفرق النافية لصفات الله تعالى ، نأتي على ذكر آراء الفرق المثبتة لتلك الصفات وهما فرقتان " الأشاعرة ، والكرامية .

١ ـ الأشاعرة"

أما الأشاعرة فانهم يثبتون لله تعالى سبع صفات زائدة على الذات ويسمونها صفات المعاني ، لأنها تدل على معنى زائد على الذات وهذه الصفات هي "

العلم ، والقدرة ، والارادة ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام .

أما دليلهم على زيادة هذه الصفات على الذات فهو قياس الغائب على الشاهد ، فالعالم في الشاهد من قام به العلم ولا يختلف الأمر شاهدا وغائبا ، لأن العلة واحدة والشرط واحد ، فعلة كون الشخص عالما في الشاهد هو العلم فكذا الأمر في الغائب ، ولأن هذه الصفات لولم تكن زائدة على الذات كما تقول المعتزلة " عالم لذاته قادر لذاته ، لكان هذا بمثابة حمل الشئ على نفسه وهو باطل. (١)

ولهذه الصفات أحكام أربعة عند الأشاعرة وهي "

١ ـ أن هذه الصفات السبع ، ليست هي الذات ، بل زائدة على الذات ، فصانع العالم تعالى ، عالم بعلم ، حي بحياة ، قادر بقدرة وهكذا في جميع الصفات السبع المتقدمة .

٢ ـ أن هذه الصفات كلها قائمة بذاته ، لا يجوز أن يقوم شئ منها بغير ذاته ، سواء كان في محل او لم يكن في محل .

---

(١) المواقف" للايجي ٨/ ٤٥ وما بعدها .

٣ـ أن هذه الصفات كلها قديمة ، فانها ان كانت حادثة كان القديم سبحانه محلا للحوادث وهو محال •

٤ـ أن الأسامي المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبع صادقة عليه أزلا ، وأبدا • فهو سبحانه في القدم كان حيا ، مريدا ، قادرا ، عالما ، سميعـا بصيرا ، متكلما • (١)

٢ـ الكرامية "

وهم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني ، وهم ممـن أثبتوا صفات المعاني لله تعالى على أنها زائدة على الذات ، فالله تعالى ، عالم بعلم ، قادر بقدرة ، حي بحياة ، سميع ، بصير ، وجميع هذه الصفات قديمة أزلية قائمة بذاته •

وقالوا كذلك " انه تعالى كان خالقا قبل أن خلق ، ورازقا قبل أن رزق ، ومنعما قبل أن انعم ، ومعنى خالقيته ، قدرته على الخلق ، ورازقيته قدرته على الرزق ، وانعامه قدرته على الانعام(٢) فهم بذلك يثبتون صفات المعاني ، ويرون أنها زائدة على الذات•

((رأى ابن الجوزى في صفات المعاني))

بينما فيما سبق رأى الأشاعرة ، والكرامية ، في صفات المعاني وذكرنا أنهم يثبتونها لله تعالى صفات زائدة على الذات ، لورود الشرع بها ، ولأنها صفات كمال يمدح المتصف بها فالله عـز وجل أولى بأن يمتدح بصفة العلم ، والقدرة ، والارادة ، وغيرهمـا

---

(١) الغزالي " الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٥ ومابعدها •

(٢) البغدادى " الفرق بين الفرق ص ٢١٥ ومابعدها •

ولما كان ابن الجوزى من أهل السنة والحديث ، وأهل السنة يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهو اذن من مثبتى صفات المعاني ، لذلك فاننا نرى أن ابن الجوزى يثبت صفات المعاني من العلم ، والقدرة ، والارادة ، والحياة ، والسمع ، و البصر ، والكلام ، لله تعالى ، وأن هذه الصفات غير الذات .

والله تعالى أعلم .

((الفصل الثالث))

في

((الصفات الخبرية))

((الفصــل الثــالث))

في

((الصفــات الخـبرية))

عند المتكلمين

يقصد بالصفات الخبرية أو (السمعية) ما كان الدليل عليها مجرد خبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو الكتاب الكريم ، من غير استناد على دليل عقلي وذلك مثل " اثبات الوجه ، واليد ، واستواءه تعالى على العرش ، ونزوله الى سماء الدنيا في النصف الأخير من كل ليلة ، الى غير ذلك من الصفات الواردة في الكتاب الكريم ، والسنة النبوية المطهرة •

ومشكلة الصفات من أهم المسائل التى قام حولها الجدل والخلاف منذ بداية المئة الثانية من الهجرة تقريبا ، ولقد كانت سببا في أن ترمى الفرق بعضها بعضا بعبارات قاسية ، مثل " التجسيم أو التعطيل ، أو الكفر ، وما الى ذلك من العبارات المنفرة التي لم تُجْدِ نفعا في اصلاح ما شاب معتقد الأمة منذ ذلك الحين حتى الآن ولقد اخذت الحالة تزداد من سئ الى أسوأ حتى كثرت الآراء ، وتعددت أقوال العلماء في هذه المسألة •

ولسنا هنا بصدد تعداد الفرق وذكر آرائها تفصيلا ، وانما الذى يهمنا من تلك الفرق هي الفرق الرئيسية دون غيرها ممن تفرع عنها ، كما درجنا على ذلك في الفصل السابق وتلك الفرق هي "

الفلاسفة ، والمعتزلة ، والأشاعرة ، والكرامية •

ولما كان الهدف الأساسي من هذا البحث هو التعرف على موقف ابن الجوزى من مشكلة الصفات الخبرية ، وهل هو متأثر فيها ببعض الفرق ؟ او يسير فيها على مذهب السلف من الايمان بها على الوجه الذى يليق بالله تعالى ، وتنزيهه

تعالى عن مشابهة خلقه ، وتفويض العلم بكيفية تلك الصفات الى الله تعالى ؟
لما كان الأمر كذلك كان لابد لنا أن نعرض آراء هذه الفرق أولا بايجاز ، ثم نتبعها برأى ابن الجوزى لئلا نحيل القارئ على مجهول اذا قلنا " ان ابن الجوزى يوافق هذه الفرقة أو يخالفها في موقفها من الصفات الخبرية ·
وقبل الشروع في عرض هذه الآراء أود أن أشير الى أنني لم أتعرض لذكر السلف على أنهم فرقة من الفرق ، لأنهم هم الأصل الذى انشقت عنه هذه الفرق كلها ، وخرجت عليه ، لعوامل فكرية ، أو تأثيرات سياسية ، بعيدة عن الفكر الاسلامي ، ومصادره الأصلية ·

الفلاسفة "

نفى الفلاسفة صفات الله تعالى ، واعتبروا كل وصف ورد في الشرع الشريف انما يعود الى الذات ، وليس خارجا عنها ، ولا زائدا عليها ، وحجتهم في ذلك "

ان الله تعالى واحد بسيط من كل وجه لاتكثر فيه ولا تركيب ، واثبات الصفات — في نظرهم — سواء كانت صفات معان ، أو صفات خبرية يؤدى الى الكثرة ، والتركيب وهما محالان على الله تعالى ، ولذلك نفوا جميع الصفات وزيادتها على الذات ·

المعتزلة"

عندما تذكر المعتزلة في كتب الفرق ، يذكرون على أنهم نفاة للصفات ، وفي الفصل السابق رأيناكيف أن المعتزلة يرجعون صفات المعاني الى الذات ، فهم اذن ينفون زيادتها فقط ، ويثبتونها وجوها ، أو احوالا للذات ، والذى حملهم على ذلك خشية القول بتعدد القدماء ، ذلك أن القدم أخص وصف لله تعالى عندهم ، فيجب ان لايشاركه فيه غيره ·

وهنا في الصفات الخبرية يذهب المعتزلة الى نفيها ، وتأويل الآيات التي وردت فيها ، ذلك لأن اثباتها — في نظرهم — يؤدى الى أن الله تعالى جسم تعالى الله عن ذلك ·

ويضيفون الى هذا ، أن هذه الصفات لم يقم على ثبوتها دليل عقلي ، وانما وردت في السمع (الكتاب والسنة) وهي أدلة ظنية الدلالة في نظرهم ، معارضة بالأدلة العقلية التى يرون أنها قطعية الدلالة ·

هذه شبهة المعتزلة ، وحجتهم في نفي الصفات ·

الأشاعرة "

بالرغم من أن الأشاعرة متفقون على اثبات صفات المعاني لله تعالى من " العلم، والقدرة ، والارادة ... الخ كما رأينا ذلك في الفصل السابق ، الا أنهم يختلفون في اثبات الصفات الخبرية .

فالمتأخرون منهم "

مثل أبي المعالي الجويني ، والغزالي ، والرازي ، لايثبتون الصفات الخبرية ويؤولون ما ورد فيها من آيات وأحاديث صحيحة لأمرين "

الأمر الأول "

لأن في اثباتها مايقتضي التجسيم وتشبيه الله تعالى بخلقه .

الأمر الثاني "

أن الدليل عليها مجرد ظواهر شرعية ، وهي ظنية الدلالة معارضة بادلة عقلية قطعية الدلالة، وبناء على هذا فان لهم حيال الأدلة الشرعية الدالة على الصفات الخبرية موقفين "

الأول "

يفوضون العلم بمعانيها الى الله جل شأنه .

الثاني "

أو يؤولون تلك النصوص الى معنى يليق بالله تعالى .

يقول سعد الدين التفتازاني حاكيا كل ذلك "

(... اما ظواهر الشرع فكقوله تعالى "(وجاء ربك) (١) و (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله) (٢) و (الرحمن على العرش استوى)(٣) ... (ويبقى وجه ربك) (٤)... (ولتصنع على عيني) (٥) (لما خلقت بيدى) (٦) ... الى غير ذلك وكقوله عليه الصلاة والسلام

(١) سورة الفجر آية (٢٢) (٢) سورة البقرة آية (٢١٠)
(٣) سورة طه آية (٥) (٤) سورة الرحمن آية (٢٧)
(٥) سورة طه آية ٣٩ (٦) سورة ص آية (٧٥)

للجاريـــــــــة الخرساء " أين الله ؟ فأشارت الى السماء ، فلم ينكر عليهــــا وحكم باسلامها ٠٠٠ ٠٠٠٠٠ الى أن قال " والجواب" انها ظنيات سمعية ، في معارضة قطعيات عقليــة ، فيقطع بأنها ليست على ظواهرها ، ويفوض العلم بمعانيها الى الله تعالى ، مع اعتقاد حقيقتها جريا على الطريق الأسلم الموافق للوقــــف على لفظ الجلالة في قوله تعالى (ومايعلم تأويله الى الله) (١) أو تؤول تأويلات مناسبة ، موافقة لماعليه الأدلة العقلية على ما ذكر في كتب التفاسير ، وشروح الأحاديث سلوكا للطريق الأحكم ، الموافق للعطف في قوله تعالى " (وما يعلم تأويله الا اللـه والراسخون في العلم) (٢)

والذى يبدو أن هؤلاء العلماء من الأشاعرة لم يكونوا على رأى واحد في تأويـــل نصوص الصفات الخبرية ، بل ربما كانت لهم مواقف أخرى من تلك النصوص ، حسب ما أوقفهم عليه البحث العلمي ، ومع مرور الزمن وتطاول الأيام ذلك أن ابن تيميـة وابن القيم يذكران عن امام الحرمين الجويني أنه قد رجع عن التأويل الى مذهب السلف ، يقول ابن تيميــة ناقلا عنه ذلك من (الرسالة النظامية) " ـ

((اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر ، فرأى بعضهم تأويلها ، والتزم ذلـك في آى الكتاب ، وما صح من السنن ، وذهب أئمـة السلف الى الانكفاف عن التأويـل واجراء الظواهر على مواردها ، وتفـويض معانيها الى الرب ٠٠٠ والذى نرتضيــه رأيا وندين الله به عقيدة" اتباع سلف الأمـة ، والدليل السمعـي القاطع في ذلك اجماع الأمـة ، وهو حجـة متبعة ، وهو مستند معظم الشريعة ٠ وقد درج صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك التعرض لمعانيها ٠٠٠ وهم صفوة الاســلام ، والمستقلون باعباء الشريعــة ، وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة ، والتواصي بحفظها ، وتعليم الناس ما يحتاجون اليه منها ، فلوكان تأويل هذه الظواهـــر مسوغا ، أو محتوما ، لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعـــــة ،

---

(١) سورة آل عمران آية (٧)

(٢) سعد الدين التفتازاني " شرح المقاصد ٢/ ٤٩، ٥٠

واذا انصرم عصرهم ، وعصر التابعين على الاضراب عن التأويل ،كان ذلك هو الوجه المتبع ، فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين ، ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكل معناها الى الرب تعالى ، فليجر آية الاستواء ، والمجيء، وقوله تعالى "(لما خلقت بيدي) (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقوله تعالى "(تجري بأعيننا)، وماصح من أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه)(١)

هذا النص من امام الحرمين الجويني ، نقلته بطوله عن ابن تيمية ، وعلى الرغم من أن هذا ليس فيه دليل ـ في نظري ـ على تحول امام الحرمين الى مذهب السلف الا أنه يدل على تحوله من موقف التأويل الى التفويض، ومذهب التفويض ليس مذهبا للسلف ، وقد قال الامام مالك ـ رحمه الله ـ عن الاستواء عندما سئل عنه "(الكيف غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ...) (٢)

فان هذا النص من الامام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ يفيد أن مذهب السلف هو التفويض في الكيف لا في المعنى .

وأيا كان الأمر فالنص ـ المنقول عن امام الحرمين ـ يفيدنا ما سبق أن قلناه من أنه قد تحول من موقف الى آخر .

أما الغزالي " فقد رأى أن عوام الناس فقط يجب أن يبعدوا عن الخوض في نصوص الصفات وتفسير ظواهرها .

يقول الغزالي بعد أن أورد آية الاستواء وحديث النزول "(قلنا الكلام على الظواهر الواردة في هذا الباب طويل ، ولكن نذكر منهجا في هذين الظاهرين يرشد الى ماعداه ، وهو أنا نقول " الناس في هذا فريقان ، عوام وعلماء، والذي نراه اللائق بعوام الخلق أن لا يخاض بهم في هذه التأويلات ، بل ننزع عن عقائدهم كل ما يوجب التشبيه ويدل على الحدوث ، ونحقق عندهم أنه موجود ليس كمثله شئ وهو السميع البصير .

---

(١) ابن تيمية " الحموية الكبرى ضمن مجموع الفتاوى ٥/١٠٠،١٠١ وابن القيم " اعلام الموقعين ٤/ ٣١١ (٢) الذهبي " العلو للعلي الغفار ص١٠٤، واللالكائي " شرح أصول اعتقاد اهل السنة والجماعة ورقة ٩٢، وقد ورد هذا النص ايضا عن شيخ مالك (ربيعة بن ابي عبد الرحمن) عندما سئل عن كيفية الاستواء فقال (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول . الذهبي " العلو للعلي الغفار ص٩٨

واذا سألوا عن معاني هذه الآيات أجروا عنها، وقيل " ليس هذا بمشمسكم فادرجوا فلكل علم رجال) (١)

واما الرازى ، فبالرغم من مؤلفاته العديدة التي ذكر فيها تأويل نصوص الصفات الخبرية ، وخاصة كتابه (أساس التقديس) الذى ذكر فيه جملة من الآيات والاحاديث المتعلقة بصفات الله تعالى ، وتأولها جميعها ، بالرغم من ذلك فانه يحكى عنه أنه رجع عن موقفه هذا الى مذهب السلف في اثباتها على الوجه الذى يليق بالله تعالى ، مع عدم مشابهته لمخلوقاته .

ينقل ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم قول الرازى في هذا الصدد ، وهو ما ذكره في كتابه (أقسام اللذات) الذى كان آخر مصنفاته ، يقول الرازى (لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلا ، ولا تروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن " أقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وأقرأ في النفي (ليس كمثله شئ) (ولا يحيطون به علما) ،(هل تعلم له سميا) ، ثم قال " ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي ... الخ) (٢)

فالرازى — اذن — يصف الله بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تأويل ، ولا تشبيه ، وهذه هي طريقة السلف واتباعهم ، ومنهم المتقدمون من الأشاعرة الذين سنأتي على الحديث عنهم.

المتقدمون من الأشاعرة "

مثل أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعرى ، وأبي بكر الباقلاني وهؤلاء يثبتون الصفات الخبرية ، من الاستواء ، والوجه ، واليدين وغيرها مما وصف الله به نفسه في كتابه الكريم ، وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في السنة الصحيحة الواردة عن الأئمة الثقات.

---

(١) الغزالي " الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٠٢ الطبعة الاولى ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩م

(٢) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٤/ ٧٢، ٧٣، ابن القيم " اجتماع الجيوش الاسلامية ص ١٤٨، ١٤٩ .

يقول ابو الحسن الأشعرى في كتابه (الابانة عن أصول الديانة) ((٠٠٠قولنا الذى نقول به ، وديانتنا التي ندين بها ، التمسك بكتاب ربنا عز وجل ، وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون ، وبماكان يقول به أبو عبد الله ـ احمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته ـ قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذى أبان الله به الحق (عند ظهور الضلال) ورفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ٠٠٠وجملة قولنا ٠٠٠ أن الله استوى على عرشه كما قال " (الرحمن على العرش استوى) وأن له وجها كما قال " (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وأن له يدين بلا كيف كما قال " (خلقت بيدى) وكما قال " (بل يداه مبسوطتان) وأن له عينا بلا كيف كما قال " (تجرى باعيننا) ٠ (١)

الى آخر ما ذكره في كتابه الابانة ، من الأقوال ـ اجمالا وتفصيلا ـ والتى تتفق مع مذهب السلف ، وقد ذكر مثل هذا في كتابه (مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين) (٢) وقد اكتفينا بهذا القدر مما نقلناه عنه من كتاب الابانة ٠ ولعلنا نجد مناسبة في الفصل الاخير من هذا البحث وهو فصل (مقارنة مذهب ابن الجوزى بمذهب الامام احمد ، لنذكر المزيد من كلام أبي الحسن الأشعرى ان شاء الله حسب ما يقتضيه المقام ٠

وأما أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، الذى قال عنه ابن تيمية " (انه أفضل المتكلمين المنتسبين الى الأشعرى ، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده) (٣)

---

(١) أبو الحسن الأشعرى " الابانة عن اصول الديانة ص٨و٩

(٢) أبو الحسن الأشعرى" مقالات الاسلاميين ١/ ٣٤٥

(٣) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٥/ ٩٨ ط الرياض ٠

فانه قال في كتابه (التمهيـــــد)"

(فان قال قائل " فهل تقولون ان الله في كل مكان ؟ قيل معاذ الله بـــل هو مستو على العرش كما أخبر في كتابه ، فقال عز وجل "(الرحمن على العرش استوى) وقال تعالى "(اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ، وقال تعالى — (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) ، ولو كان في كل مكان، لكان فـــي جوف الانسان ، وفي فمه وفي ... المواضع التي يرغب عن ذكرها ... ، ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلاؤه كما قال الشاعر "

قد استوى بشـــر على العـــراق .

لأن الاستيلاء ، القدرة والقهر ، والله تعالى لم يزل قادرا قاهرا عزيزا مقتـــدرا ، وقوله — تعالى — (ثم استوى) يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن ، فبطـل ما قالوه .،

ثم قال " فان قال قائل " فصلوا لي صفات ذاته من صفات أفعاله ، لأعـــرف ذلك ، قيل له "

صفات ذاتـه "

هي التي لم يزل ولا يزال موصوفا بها ، وهي الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، و الكلام ، والارادة ، والبقاء ، والوجه ، واليدان ، والعينان ، والغضب ، والرضـا .

وصفات فعله هي"

الخلق ، والرزق ، والعدل ، والاحسان ، والتفضل ، والانعام ، والثـــواب ، والعقاب ، والحشر ، والنشر ، وكل صفة كان موجودا قبل فعله لها) (١)

---

(١) أبو بكر الباقلاني " التمهيد في اصول الدين ص ٢٥٨ وما بعدها المكتبة الشرقية بيروت ١٩٥٧م منشورات جامعة الحكمة ببغداد .

وقد نقل ابن تيمية وابن القيم عن الباقلاني — ايضا — من كتابه (الابانة) ما يشبه كلامه في التمهيد ، وذكر ابن القيم عنه ما كتبه في (رسالة الحيرة) مايطابق كلامه في الكتابين السابقين (التمهيد والابانة) (١) كل ذلك يدل على أن الباقلاني يقول بقول امامه أبي الحسن الاشعرى في اثبات الصفات الخبرية ، وهو الرأى الذى سبق أن قلت " انه موافق لما كان عليه السلف من اثبات صفات الله تعالى كما وردت في الكتاب والسنة ، الصحيحة .

الكرامية "

تعد الكرامية من الفرق التى تثبت الصفات لله تعالى الا أنهم قد غالوا في الاثبات حتى اعتبروا من المجسمة ، وفي ذلك يقول الشهرستاني ناقلا مذهبهم "

(نص أبو عبد الله على أن معبوده على العرش استقرارا ، وعلى أنه بجهة فوق ذاتا ، وأطلق عليه اسم الجوهر ، وأنه مماس للعرش من الصفحة العليا ، وجوز الانتقال والتحول ، والنزول ، ومنهم من قال " انه على بعض أجزاء العرش ، وقال آخرون " امتلأ العرش به وقال المتأخرون منهم " انه تعالى بجهة فوق ، وأنه محاذ للعرش) (٢)

وبعد عرضنا لآراء هذه الفرق ننتقل لعرض آراء ابن الجوزى في الصفات الخبرية لنتمكن بعد ذلك من أن نقف على حقيقة موقفه من هذه الصفات والى أى مذهب ينتمى .

---

(١) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٥/ ٩٨ ، ٩٩

ابن القيم " اجتماع الجيوش الاسلامية ص ١٤٧

(٢) الشهرستاني " الملل والنحل ١/ ١٠٨ ، ١٠٩

((موقف ابن الجوزي من الصفات الخبرية))

يعتبر ابن الجوزي نفسه مدافعا عن مذهب الامام احمد - رحمه الله تعالى - ومبينا لرأيه ، ونافيا عنه كذب المنقولات - كما يقول - وهذيان المقولات ، وذلك بتأليفه كتاب (دفع شبهة التشبيه) الذي كتبه ليناقش فيه ثلاثة من المؤلفين الحنابلة (١) حيث اعتبرهم مشبهة باثباتهم الصفات الخبرية ، ورفضهم مذهب التأويل .

لقد سلك ابن الجوزي في هذا الكتاب طريقة (التأويل) فأول جميع النصوص الواردة في الصفات الخبرية ، لذا فان كثيرا من العلماء الذين يرون تأويل نصوص الصفات ، يرون في قول ابن الجوزي هذا دليلا لهم ضد من يعارض التأويل وخاصة الحنابلة منهم ، لأنهم يرون هذا من ابن الجوزي وهو الناطق - كما يدعي - بمذهب الامام احمد - رحمه الله تعالى - يرون في اقواله هذه أنها المعبرة عن المذهب السلفي ، وما عداها من الأقوال ، انما هي تشبيه و تجسيم .

بينما يرى الذين يقفون من التأويل موقف المعارض أنه لاحجة في أقوال ابن الجوزي هذه ، وان ادعى أنها رأي الامام احمد ، فان العبرة عندهم بما في الكتاب والسنة ، وأقوال الأئمة . وما في الكتاب والسنة ، وما جاء عن الأئمة - ومنهم الامام احمد رحمه الله تعالى لايتفق وأقوال ابن الجوزي في كتابه (دفع شبهة التشبيه) ، فلاحجة - اذن - في أقواله لمن يتخذها دليلا على مخالفيهم .

---

(١) المؤلفون الثلاثة هم :

١- أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي البغدادي الوراق المتوفى سنة ٤٠٣هـ

٢- القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء الحنبلي المتوفى سنة ٤٥٨هـ

٣- ابو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الزاغوني الحنبلي ، المتوفى سنة ٥٢٧ هـ ، وهو احد شيوخ ابن الجوزي - كما تقدم -

والذي يبدو، أن أقوال كل من الفريقين - سواء من يناصر ابن الجوزي، أو من يعارضه - قد اعتمدوا فيها على ما وجدوه له في كتابه (دفع شبهة التشبيه)، والحق أن هذا الكتاب وحده لا يمكننا أن نعتمد عليه اذا ما أردنا أن نعرف موقفه الحقيقي من الصفات الخبرية، لأن الرجل كان كثير التأليف، وقد ذكر آراءه في أكثر من كتاب، والباحث المنصف لا يجوز له أن يأخذ رأي العالم من كتاب واحد له، بل يجب أن يرجع الى ما يمكنه الرجوع اليه من مؤلفاته، ويقارن بينها - ان وجد بينها اختلافا - ليرى هل يمكن الجمع بين آرائه فيها، والا اعتبر الرأي المتأخر ناسخا للمتقدم، أو كان المؤلف متناقضا مع نفسه .

لقد بحث ابن الجوزي - كما قلنا - موضوع الصفات الخبرية في أكثر من مؤلف وتطرق لبحثها في أكثر من موضع، ومن ضمن هذه المؤلفات كتابه (مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنية) والذي تحدث فيه عن بعض الصفات الخبرية، وذلك اجابة عن سؤال وجه اليه، يقول السائل فيه " ما تقول في أخبار الصفات ؟

فأجاب ابن الجوزي" بأن الله تعالى، يوصف باليدين، والوجه، والعين على الوجه الذي يليق به تعالى . وأورد الأدلة من الكتاب والسنة على صحة ما ذهب اليه، ثم عقب على ذلك بقوله " ان الخلاف ليس في اثبات هذه الصفات وانما الخلاف في اثباتها جوارح لله، تعالى الله عن ذلك .

كما ذكر أن الخلاف قائم بين المعتزلة الذين عطلوا الله عن صفاته والمشبهة الذين مثلوا الله بخلقه، وأهل السنة الذين وحدوا الله ونزهوه عن مشابهة خلقه . وقد استطرد ابن الجوزي في الحديث، فذكر حجج المعتزلة ومناقشتها، وها نحن نذكر ما أجاب به السائل ليزداد الموقف وضوحا وقد كان السؤال هو " ما تقول في أخبار الصفات ؟

فأجاب ابن الجوزي بقوله "

((اعلم أن الحق يوصف باليدين ، والوجــه ، والعين على الوجه الذى يليــق به ٠

أما اليدين (١) فقد قال تعالى ـ "(ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) وقا ل " (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم "(الحجر الاسود يمين الله فــي أرضــه ، وكلتا يديه يمين)، وقال النبي صلى ا لله عليه وسلم (ان الله خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيــــده) فيــــوجب القول بذلك والتسليم له و نفي التشبيه عنه ٠

وأما الوجــه " فقد قال تعالى "(ويبقى وجه ربك)وقال "(كل شئ هالك الا وجهه)

وأ ما العين " فقد قال تعالى "(ولتصنع على عيني)٠

يقول ابن الجوزى "

وليس الخلاف في اليــد ، وانما الخلاف في الجارحة ، وليس الخــلاف في الوجــه وانما الخلاف في الصورة الجسمية ، وليس الخلاف فــي العين وانما الخلاف في الحدقة ٠

فالمعتزلة " يذهبون الى التعطيل والتمويه ٠ والمشبهة "الى التمثيــل وأهل السنة الى التوحيد والتنزيه ٠

فالمعتزلة جحدوا ، والمشبهة الحدوا ، وأهل السنة وحدوا ٠ (٢)

ثم أخذ ابن الجوزى يورد اعتراضات المعتزلة ويناقشها ، فقال "(فالمعتزلة قالوا " المراد باليد القدرة أو النعمة ، والمراد بالوجه الذات فــي قوله ـ تعالى ـ(كل شئ هالك الا وجهه) ٠٠٠

---

(١) الصواب "(أما اليدان) ولعل التقدير (أما صفة اليدين)

(٢) ابن الجوزى" مجالس ابن الجوزى في المتشابه من الآيات القرآنية صـ ١ ، ٢

م/ب

وقول المعتزلة " ان المراد باليد القدرة باطل، لأنه يؤدى الى أن تكون للحق سبحانه قدرتان فانه قال " ـ تعالى ـ " (بيدى) وأجمع المسلمون قاطبة أنه لايجوز أن تكون لله ـ تعالى ـ قدرتان ، ثم هم يوافقون على أن لله تعالى قدرة واحدة فكيف يتأولون تأولا يخالف مذهبهم واجماع المسلمين، وكذلك لايجوز أن يقال " ان الحق تعالى خلقه بنعمتين، لأن النعمة مخلوقة ، والحق لايخلق الخلق بمخلوق ، لأنه لوخلق بمخلوق لكان محتاجا اليه ، وهو منزه عن الاحتياج ، ولوكان الامر كما زعموا لما كان لآدم فضيلة على ابليس أن يقول " وأنا بيدك خلقتنى التي هي قدرتك و نعمتك ... وقوله تعالى " (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) فأثبت لنفسه اليدين ونفى الغل عنهما ... وقول المعتزلة " انه أراد بالوجه الذات فباطل، لأنه أضافه الى نفسه ، والمضاف ليس كالمضاف اليه ، لأن الشئ لايضاف إلى نفسه ، ثم لوكان وجهه هو ذات الله لجاز أن يقال نحن نعبد وجه الله ، ونقول يا وجه اغفر لي ، فلما لم يجز الاجماع دل على فساد ماقالوه) (١)

ويتضح لنا من نص ابن الجوزى ومناقشته لآراء المعتزلة ، أنه يصف الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، على الوجه الذى يليق بالله تعالى من غير تشبيه ولا تمثيل .

وقد أيد قوله بما ذكره في تفسيره "(زاد المسير) عند الكلام على صفة (اليد) بما نقله عن الزجاج ، حيث رد القول بأن المراد باليد " القدرة أو النعمة ، فقال "

(قال الزجاج " وقد ذهب قوم الى أن معنى (يد الله) نعمته ، وهذا خطأ ينقضه ـ قوله تعالى ـ " (بل يداه مبسوطتان) فيكون المعنى على قولهم " نعمتاه ونعم الله أكثر من أن تحصى) (٢)

---

(١) ابن الجوزى " مجالس ابن الجوزى ص ٢ ـ ٣
(٢) ابن الجوزى " زاد المسير ٢/ ٣٩٣

ولكن هل سار ابن الجوزى على هذا المنوال من تقرير مذهب السلف ووصف الله تعالى بما وصف به نفسه على الوجه الذى يليق به تعالى دون مشابهته لخلقه ، أو أن ابن الجوزى له آراء أخرى تخالف ما قرره في مجالســـه ؟

الحقيقة أن لابن الجوزى أكثر من رأى ، فبينما رأيناه قد اثبت اليد صفة لله تعالى تليق بجلالـه وعظمتـه ، نجده في موضع آخر ينفي هـــذه الصفة ، ويستدل على نفيه لها بما سبق أن أبطله هو في معرض مناقشته للمعتزلة ، يقول ابن الجوزى في (دفع شبهة التشبيه) عند الكلام علــى صفة (اليد) في قوله تعالى "(لما خلقت بيدى)

(اليد في اللغة بمعنى النعمة ، والاحسان ، ... واليد القوة ، يقولون " له بهذا الأمر يد ، وقوله تعالى "(بل يداه مبسوطتان) أى نعمته وقدرته ، وقوله تعالى "(لما خلقت بيدى) أى بقدرتي ونعمتي .

و قد أجاب بهذا على القاضي أبي يعلى حيث أثبت اليد صفة لله تعالــى كما أجاب عليه فيما احتج به هو سابقا على المعتزلة من أن اليد لو لم تكن صفة لله تعالى لما كان لآدم مزية على غيره . (١)

أما ما نسبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه قال (ان الله خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده) حيث أثبت به اليد صفة لله تعالى في كتابه (مجالس ابن الجوزى في المتشابه مــن الآيات القرآنية) فقد قال عنه في كتابه (دفع شبهة التشبيه) انه قول بعض التابعين ولا يثبت عن قائله) (٢)

وهو بهذا قد وقع فيما عابه على من تصدى لمناقشتهم في كتابـــه (دفع شبهة التشبيه) حيث اتهمهم بأنهم (لم يفرقوا بين حديث مرفــوع الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وبين حديث موقوف على صحابي أو تابعي

---

(١) ابن الجوزى " دفع شبهة التشبيه ص ١١ ، ١٢

(٢) ابن الجوزى " دفع شبهة التشبيه ص ٧ ، وفيه "(وغرس جنة الفردوس بيده) بدلا من (جنة عدن) في كتاب (مجالس ابن الجوزى)

فأثبتوا بهذا ما أثبتوا بهذا)(١)

أما الحديث الآخر الذى استدل به على اثبات صفة اليد لله تعالى في كتابه (مجالس ابن الجوزى) والذى نصه "

(الحجر الأسود يمين الله في الأرض وكلتا يديه يمين) فقد قال فيه ابن تيمية " انه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد لا يثبت والمشهور انما هو عن ابن عباس ٠٠) (٢)

وفي احتجاج ابن الجوزى بهذا الحديث مع عدم ثبوته ، ونسبته الى النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه قول صحابي يجعله ، يقع في تناقض واضطراب اذ يحتج بما عاب به غيره حيث قال في موضع آخر من كتابه "(دفع شبهة التشبيه)لمن ناقشهم من الحنابلة " (انهم لم يفرقوا في الاثبات بين خبر مشهور ٠٠٠ وبين حديث لا يصح)(٣)

أما الصفة الأخرى التى أثبتها لله تعالى في كتابه (مجالس ابن الجوزى) وهي صفة الوجه ، والتى دلل على ثبوتها بالآيات القرآنية ٠ فاننا اذا ما استعرضنا آراءه في مؤلفاته الأخرى فاننا سوف لا نجده أحسن حالا عما وجدناه في الصفة التى قبلها وهي صفة اليد ٠

فمن الآيات التى استدل بها ابن الجوزى على اثبات صفة الوجه ، قوله تعالى (ويبقى وجه ربك) وقد رأينا من مناقشته للمعتزلة كيف رفض القول بأن المراد بالوجه الذات ، لأن الشئ لا يضاف الى نفسه ، أما في تفسيره (زاد المسير)فانه يقول في تفسير قوله تعالى "(ويبقى وجه ربك)أى"ويبقى ربك (٤) وقد أكد في كتابه (دفع شبهة التشبيه) أن المراد بالوجه الذات لأنه لوكان المراد به صفة زائدة على الذات لكان المعنى المراد في قوله تعالى "(كل شئ هالك الا وجهه) ان ذاته تهلك الا وجهه)(٥)

---

(١)ابن الجوزى" دفع شبهة التشبيه ص٩ (٢)ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٦/ ٣٩٧

(٣) ابن الجوزى" دفع شبهة التشبيه ص٨ (٤) ابن الجوزى" زاد المسير ٨/ ١١٤

(٥) ابن الجوزى" دفع شبهة التشبيه ص ١٠

م/ب

ومن نصوص ابن الجوزى التى أوردناها من مؤلفاته "(مجالس ابن الجوزى) و(دفع شبهة التشبيه) و(زاد المسير) يتضح لنا ما وقع فيه من اضطراب وعدم ثبات على رأى واحد، ولكنه في كتابه (تلبيس ابليس) يظهر لنا بموقف آخر لا يجزم فيه برأى بل يقرر ما يدل على أنه يميل الى التفويض،

وأخيرا يقرر ـ في نفس الكتاب ـ أن عقيدته هي " ماكان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، يقول ابن الجوزى في ذلك "ـ

(ومن الناس من يقول " لله وجه هو صفة زائدة على صفة ذاته، لقوله عزوجل (ويبقى وجه ربك) وله (يد)... وهذا كله انما استخرجوه من مفهوم الحس، وانما الصواب قراءة الآيات، والأحاديث من غير تفسير، ولا كلام فيهما وما يؤمن (١) هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات لا أنه صفة زائدة، وعلى هذا فسر الآية المحققون، فقالوا "(ويبقى ربك، وقالوا في قوله تعالى "(يريدون وجهه) " يريدونه) (٢) وبعد أن تعرض ابن الجوزى لتفسير ما نهى عن تفسيره من آيات الصفات وأحاديثها قال "(والذى أراه السكوت عن هذا التفسير أيضا، الا أنه يجوز أن يكون مرادا...) (٢)

وهذا الرأى لابن الجوزى يدل على أنه يميل الى التفويض وعدم البحث في آيات الصفات وأحاديثها، ويعتبر هذا القول منه عدولا عما انتهجه فيما عرضناه له من آراء، حيث كان في بعضها يتعرض للآيات والأحاديث بالتفسير باثبات ما تضمنته من صفات الله تعالى، كما هو الحال في كتابه (مجالس ابن الجوزى) كما كان يتعرض لتلك النصوص بالتأويل كما هو واضح في كتابه (دفع شبهة التشبيه) وفي كلا الرأيين ما يناقض القول بالتفويض الا أن ابن الجوزى عاد في فصل آخر من كتابه (تلبيس ابليس) فقرر أنه يقول بما كان عليه

---

(١) أى وما يدريهم.

(٢) تلبيس ابليس" لابن الجوزى ص ٩٦.

م/ب

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه ، يقول ابن الجوزي في ذلك "
(فان قال قائل : قد عبت طريق المقلدين في الأصول ، وطريق المتكلمين فما الطريق السليم من تلبيس ابليس؟ فالجواب " ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وتابعوهم باحسان ، من اثبات الخالق سبحانه ، واثبات صفاته — تعالى — على ما وردت به الآيات والأخبار من غير تفسير ، ولا بحث عما ليس في قوة البشر ادراكه) (١)

ويتضح لنا من نص ابن الجوزي هذا أنه يقول بقول السلف ، من اثبات صفات الله تعالى ، كما وردت بها الأخبار في الكتاب الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة على الوجه الذي يليق بالله تعالى ، اثباتا بلا تشبيه ، وتنزيها بلا تعطيل ، مع تفويض العلم بكيفية تلك الصفات الى الله تعالى ، لأنّ العلم بكيفيتها يتوقف على العلم بحقيقة الذات ، وذلك ليس في مقدور البشر الاطلاع عليه .

ولكن هل استقر ابن الجوزي على هذا الرأي ، ولم يقل بما يخالفه ؟

ان من يستعرض كتاب ابن الجوزي (صيد الخاطر) يجد فيه ما يناقض ما قرره في كتابه (تلبيس ابليس) بل ان في كتابه (صيد الخاطر) ما ينقض بعضه بعضا ، وسنورد بعض تلك النصوص للتدليل على صحة ما نقول .

لقد بحث ابن الجوزي موضوع الصفات في عدة فصول من كتابه (صيد الخاطر) وأول هذه الفصول هو الفصل (٤٣) حيث ذكر أن النجاة في التسليم لما ورد من صفات الله تعالى في كتابه وجاءت به رسله ، وأن لا نزيد على ذلك ، وأن كثيرا ممن تكلم في صفات الله تعالى بآرائهم لم يستفيدوا من بحثهم بل عاد عليهم بالوبال .

يقول ابن الجوزي في هذا "
(رأيت كثيرا من الخلق ، وعالما من العلماء ، لاينتهون عن البحث عن أصول الأشياء التي أمروا بعلم جملها ، ومن غير بحث عن حقائقها) .

---

(١) ابن الجوزي " تلبيس ابليس ص ٩٧ .

م/ب

ويضرب لذلك مثلا بالروح والعقل حيث لا ينكر وجودهما ، وكلاهما يعرف بآثاره لا بحقيقة ذاته ، وابن الجوزي اذ يورد هذين المثالين انما ليدلل على أنه اذا كانت بعض مخلوقات الله تعالى تخفى علينا حقيقتها فالله تعالى أجل وأعلى .

ويتابع حديثه في هذا الفصل فيقول "

(فينبغي أن يوقف في اثباته — أي الله تعالى — على دليل وجوده .. .. ثم نتلقى أوصافه من كتبه ورسله ، ولا يزاد على ذلك ، ولقد بحث خلق كثير عن صفاته بآرائهم فعاد وبال ذلك عليهم ، واذا قلنا انه موجود ، وعلمنا من كلامه أنه سميع بصير ، حي قادر ، كفانا هذا في صفاته ، ولا نخوض في شئ آخر ... ولم يقل السلف استوى على العرش بذاته ، ولا قالوا ينزل بذاته ، بل أطلقوا ما ورد من غير زيادة ، وهذه كلمات كالمثال فقس عليها جميع الصفات ، تفز سليما من تعطيل ، متخلصا من تشبيه) . (١)

وقد أعاد هذا القول في الفصل (٤٩) حيث انتقد المشبهة الذين يحملون الأحاديث على ظاهرها ، ويرى (انهم لو أمرّوا الأحاديث كما جاءت سلموا ، لأن من أمرّ ما جاء من غير اعتراض ولا تعرض ، فما قال شيئا لا له ولا عليه ، ... وهذه طريقة السلف ، فأما من قال الحديث يقتضي كذا ، ويحمل على كذا ، مثل أن يقول " استوى على العرش بذاته ، وينزل الى السماء الدنيا بذاته ، فهذه زيادة فهمها قائلها من الحس لا من النقل)(٢)

والحق هنا مع ابن الجوزي في أن السلف أمرّوا الأحاديث كما جاءت من غير تعرض لها بالتأويل ، ولم يبحثوا في كيفية تلك الصفات لأنه لا يعلم كيفيتها الا الله ، أما من قال "(استوى على العرش بذاته ، وينزل بذاته) فلعل ذلك كان رد فعل ضد أولئك الذين قالوا " ان الله في كل مكان ، وليس على العرش ، فقيل بل على العرش بذاته ، ومن قال تنزل رحمته ، قيل له

(١) ابن الجوزي " صيد الخاطر فص٣٤

(٢) ابن الجوزي " صيد الخاطر فصل (٤٩)

م/ب

بل ينزل بذاته ، فهذا حدث كرد فعل لهذه الأقوال ، والأمثلة على ذلك كثيرة بين الفرق .

أما في الفصل (٦١) فانه يسلك طريق الغزالي في تقسيم الناس الى عوام وعلماء ، فيرى أن الأصلح للعوام أن يقال لهم أمّروا هذه الأحاديث كما جاءت ولاتتعرضوا لها بالتأويل لأن الله تعالى ، وصف نفسه بصفات تقرر وجوده في النفوس مثل الاستواء على العرش ، والنزول الى سماء الدنيا والغضب والرضا ، وغير ذلك وكل ذلك انما يقصد به حفظ الاثبات ، أما العالم فلا يخفى عليه أنه لايجوز أن يكون استوى كما يعلم ، ولايجوز أن يكون محمولا ، ولا أن يوصف بملاصقة ومس ٠٠)

ويقول أيضا في هذا الفصل "

(ان المراد منك الايمان بالجمل وما أمرت بالتنقير ، مع أن قوى فهمك تعجز عن ادراك الحقائق ٠٠٠ وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ٠٠٠ يرضى من الناس بنفس الاقرار واعتقاد الجمل ، وكذلك كانت الصحابة فما نقل عنهم أنهم ٠٠٠ قالوا استوى بمعنى استولى ، وينزل بمعنى يرحم بل قنعوا باثبات الجمل التي تثبت التعظيم عند النفوس) (١)

وابن الجوزي مصيب فيما قال " من أن البحث عن الحقائق ليس في مقدور البشر وهذا أمر متفق عليه ، لاخلاف فيه ، وانما الخلاف في اثبات مادلت عليه تلك الصفات أو نفيها ، وهو مصيب أيضا فيما قال " من أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينقل عنهم أنهم قالوا " استوى بمعنى استولى ، وينزل بمعنى يرحم ولكن ابن الجوزي في كتابه "(دفع شبهة التشبيه) قال " ٠٠٠ والاستواء الاستيلاء على الشئ ، قال الشاعر "

اذا ما غزا قوما أباح حريمهم وأضحى على ماملكوه قد استوى (٢)

بينما يقول هذا نراه ينقل عن ابن الاعرابي في كتابه "(زاد المسير) أنه

---

(١) ابن الجوزي " صيد الخاطر فص(٦١)

(٢) ابن الجوزي " دفع شبهة التشبيه ص١٨

لايعرف في اللغة الاستواء بمعنى الاستيلاء ، يقول ابن الجوزى في ذلك
عند قوله تعالى "(ثم استوى على العرش) (١)
(واجماع السلف منعقد على أن لايزيدوا على قراءة الآية ، وقد شذ قوم فقالوا
العرش بمعنى الملك ... وبعضهم يقول " استوى بمعنى استولى ، ويحتج
بقول الشاعر "

حتى استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

وبقول الشاعر ايضا "

هما استويا بفضلهما جميعا على عرش الملوك بغير زور

وهذا منكر عند اللغويين ، قال ابن الأعرابي "
العرب لاتعرف استوى بمعنى استولى ، ومن قال ذلك فقد اعظم .
قالوا " وانما يقال استولى فلان على كذا ، اذا كان بعيدا عنه غير متمكن
منه ، ثم تمكن منه ، كذا قال ابن فارس اللغوى ، ولو صحا فلا حجة فيهما
لما بيّنا من استيلاء من لم يكن مستوليا ، نعوذ بالله من تعطيل الملحدة ،
وتشبيه المجسمة) ا.هـ (٢)

وهذا من ابن الجوزى اضطراب واضح وتناقض بيّن .

ولنتابع حديث ابن الجوزى عن الصفات في كتابه (صيد الخاطر) حيث يرى
في الفصل (١٢٣) ما أرتآه في الفصل السابق (٦١) من تقسيم الناس
الى عوام وعلماء ، ويصرح في هذا الفصل أن التشبيه أصلح للعوام من
التنزيه يقول ابن الجوزى "
((قدم الى بغداد جماعة من أهل البدع الأعاجم فارتقوا منابر التذكير للعوام ،
فكان معظم مجالسهم أنهم يقولون ... ان الله ليس في السماء ، وأن الجارية
التي قال لها النبي صلى الله عليه وسلم " أين الله ؟ كانت خرساء فأشارت
الى السماء أى ليس هو من الأصنام التى تعبد في الأرض ، ... فان قال
قائل " فما جوابنا عن قولهم ؟ قلت " اعلم وفقك الله تعالى أن الله عز
وجل ورسوله (رضيا) (٣) من الخلق بالايمان بالجمل ، ولم يكلفا معرفة

---

(١) سورة الأعراف آية (٥٤)
(٢) ابن الجوزى " زاد المسير ٣/ ٢١٢ ، ٢١٣
(٣) في الأصل (قنعا)

التفاصيل ، إما لأن الاطلاع على التفاصيل يخبط العقائد ، واما لأن قوى البشر تعجز عن مطالعة ذلك ، ... فان ما دونها لا يمكن تحقيقه على التفصيل كالروح مثلا ، فانا نعلم وجودها في الجملة ، فأما حقيقتها فلا ، فاذا جهلنا حقائقها كنا لصفات الحق أجهل ، فوجب الوقوف مع السمعيات مع نفي ما (لا) يليق بالحق ، لأن الخوض يزيد الخائض تخبطا ، ولا يفيده تحصيلا ، بل يوجب عليه نفي ما يثبت بالسمع من غير تحقيق أمر عقلي ، فلا وجه للسلامة إلا طريق السلف ، وكذلك أقول " ان اثبات الاله بظواهر الآيات والسنن ألزم للعوام من تحديثهم بالتنزيه ، وان كان التنزيه لازما ، وقد كان ابن عقيل يقول " الأصلح لاعتقاد العوام ظواهر الآى والسنن ، لانهم يأنسون بالاثبات فمتى محونا ذلك من قلوبهم زالت السياسات والحشمة ، وتهافت العوام في التشبيه (١) أحب الى من اغراقهم في التنزيه ، لأن التشبيه يغمسهم في الاثبات فيطمعوا ويخافوا ...) (٢)

ولنا وقفة مع ابن الجوزى فيما قاله في هذا الفصل في نقطتين " الأولى "

في نقده لمن فسر حديث الجارية التى سألها الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا "لها أين الله ؟ فأشارت الى السماء ، بأن تلك اشارة منها الى أنه ليس من الأصنام التى تعبد في الأرض لقد اعتبر ابن الجوزى هؤلاء مبتدعة بعملهم هذا ، ولكننا نعود مع ابن الجوزى الى كتابه (دفع شبهة التشبيه) لننظر ماذا قال عن هذا الحديث هناك .

يقول ابن الجوزى بعد أن أورد الحديث المذكور ، وذكر أنه من رواية مسلم "(قلت قد ثبت عند العلماء أن الله تعالى لا تحويه السماء ولا الأرض ولا تضمه الأقطار ، وانما عرف بأشارتها تعظيم الخالق جل جلاله عندها) .

(١) لعل الصواب " التشبيه "
(٢) ابن الجوزى " صيد الخاطر فصل (١٢٣)

وهـــذا التفسير للحديث من ابن الجوزى ، لاخلاف في جزئــــه الأول من أن الله لاتحويه السماء ولا الأرض ، لأن الله تعالى بائـــن من خلقه باتفاق ، ولكن الجزء الأخير من تفسيره للحديث لا أراه يختلف عما انتقده على أولئك الذين سماهم أعاجم مبتدعة فما ذا يعني هذا ؟ لقد أوضح مراده فقال " (ولسنا نختلف أن الجبار تعالى لايعلوه شئ من خلقه بحال ، وأنه لايحل في الأشياء بنفسه ، ولايزال عنهـــا لأنـــه لو حلّ بها كان منها ، ولو زال عنها لتأى عنهـــا) (١)

وهذا من ابن الجوزى في حد ذاته تناقض ، اذ كيف يمكن أن يقال " ان الله لايعلوه شئ ، ويقال ان الله لايحل في الأشياء ولايزول عنهـــا ؟

أما النقطة الثانية "

التي سبقت الاشارة اليها فهي قوله في (صيـــد الخاطر)

(ان الأصلح لاعتقاد العوام ظواهر الآى والسنـــن لانهم يأنسون بالاثبات فمتى محونا ذلك مـــن قلوبهم زالت السياسات والحشمة ، وتهافت العـــوام في التشبيه أحب الي من اغراقهم في التنزيه ٠٠ الخ)

لأننا لو رجعنا الى كتابه (مجالس ابن الجوزى فـــي المتشابه من الآيات القرآنية) الذى تحدث في أوله عن الصفات فأثبتها على الوجه الذى يليق بالله تعالى ، وناقش المعتزلة في ردهم لتلك الصفـــات وتأويلها ، لو رجعنا الى هذا الكتاب لوجدنا ابـــن

---

(١) ابن الجوزى " دفع شبهة التشبيه ص٤٥ ، ٤٦

الجوزى يذكر فيه أن القول بالتأويل خير من التشبيه يقول ابن الجوزى "
" ... وان لم يمكنك أن تتخلص من شركة التشبيه ... الى التوحيد الا بالتأويل ، فالتأويل خير من التشبيه) (١)

وهذا لايتفق مع ما دعا اليه من أن التشبيه أحب اليه من اغراق العوام في التنزيه ، وذلك في العبارة المتقدمة المنقولة من كتابه (صيد الخاطر) يضاف الى هذا ، أن هذه العبارة المذكورة في كتابه (مجالس ابن الجوزى) تخالف ما أثبته في أول هذا الكتاب من صفات الله تعالى على الوجه الذى يليق بالله كما وردت بذلك الآيات والأحاديث .

أما في الفصل (٧١) فانه يميل الى التفويض في بعض كلامه ثم يعود في نفس الفصل فيضطرب قوله في الموضوع ، حيث ذكر بعض ما وصف الله به نفسه ، وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، من الاستواء ، والنزول واليد ، وما الى ذلك ثم ذكر أن الناس " منهم من أنكر الاستواء ، والنزول ، ومنهم من لم يقف على ما ذكر في الشرع .

يقول ابن الجوزى"

((... فان القرآن والحديث يثبتان (٢) الاله عز وجل بأوصاف تقرر وجوده في النفوس ، كقوله تعالى "(ثم استوى على العرش) ، وقوله تعالى "(بل يداه مبسوطتان) ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم "(ينزل الله الى السماء الدنيا) .. فجاء أقوام فقالوا " ان الله عز وجل ليس في السماء ، ولا يقال " استوى على العرش ، ولا ينزل الى السماء الدنيا ، بل ذلك رمعته ، فمحوا من القلوب ما أريد اثباته فيها ، وليس هذا مراد الشارع .

وجاء آخرون فلم يقفوا على ما حده الشرع ، بل عملوا فيه بآرائهم ، فقالوا الله على العرش ، ولم يقنعوا بقوله تعالى (ثم استوى على العرش)(٣)

وبعد اعتراض ابن الجوزى على الفريقين ، المؤولة ، والمشبتة ، بما يشعر منه القول بالتفويض حيث يرى الاكتفاء بقراءة قوله تعالى (ثم استوى على العرش) وما شابهه ، يقول معترضا على من يأخذ بالظاهر ويدع التأويل " (ودفن لهم أقوام من أسلافهم دفائن ، ووضعت لهم الملاحدة أحاديث ،

ف

---

(١) ابن الجوزى " مجالس ابن الجوزى ص٩ ، ١٠ (٢) لعل المراد " يصفان الله بأوصاف
(٣) ابن الجوزى" صيد الخاطر فصل (٧١)

فلم يعلموا ما يجوز عليه - تعالى - مما لايجوز ، فأثبتوا بها صفاته ، وجمهور الصحيح منها آت على توسع العرب ، فأخذوه هم على الظاهر) (١)

وهذا القول من ابن الجوزى يبطل اعتراضه على أولئك الذين قال منهم انهم قالوا " ان الله ليس في السماء ، ولا يقال " (استوى على العرش) ، ولا ينزل الى سماء الدنيا ، بل ذاك رحمته ، لأن من يقول هذا يعتمد على أن هذه الآيات والأحاديث الواردة في الصفات ، قد جاءت على توسع العرب ، •

وهذا - في نظرى - تناقض من ابن الجوزى في فصل واحد لم أجد ما يبرره •

ولا نريد أن نسترسل في ذكر ما قاله ابن الجوزى في كتابه (صيد الخاطر) بالتفصيل ، ولكننا نشير الى انه ذكر في الفصلين "(١٨٩) ، (١٩٤) " أن السلف انما نهوا عن الاشتغال بعلم الكلام لامر عظيم ، وذلك أن علم الكلام مما يخبط العقائد ، والتعمق فيه لايقرب الى معرفة الحقائق ، لأن الأمر لو كان كذلك لما وقع بين المتكلمين خلاف •

يضاف الى ذلك أن الشرب الأول - كما يقول ابن الجوزى - ما تكلموا في شئ من ذلك ، وينتهي الى أنه لاخير فيمن لم يرض بعقيدة مثل عقيدة الصحابة ، ولا بطريق مثل طريق أحمد والشافعي • (٢)

ولكننا لو رجعنا الى كتابه (مجالس ابن الجوزى) لوجدناه يرد على من يقول " ان الصحابة لم يشتغلوا بالتأويل • بأن الصحابة لم يتركوا ذلك لكونه محظورا ، وانما لأن البدع لم تظهر بعد •

ويرى ابن الجوزى أن من يترك التأويل لأن الصحابة لم يشتغلوا به ، كمن يترك التداوى ، وهو مريض ، لأنه يرى رجلا صحيحا ، لم يتداو •(٣)

---

(١) ابن الجوزى " صيد الخاطر فصل (٧١)
(٢) ابن الجوزى " صيد الخاطر فصل (١٨٩ ، ١٩٤)
(٣) ابن الجوزى " مجالس ابن الجوزى ص ١٠ ، ١١

وبعد ما أوردناه من النصوص عن ابن الجوزى من عدة مؤلفات له، يتبين لنا بوضوح، مدى ما وقع فيه من اضطراب، وتناقض، وعدم ثبات على رأى واحد، وهذا يؤيد ما قلناه في أول هذا الفصل " من أننا لا نستطيع أن نصدر حكما عادلا على شخص ما، اذا ما اعتمدنا على كتاب واحد من كتبه، بل يتطلب منا الموقف أن نطلع على ما كتبه في مؤلفاته الأخرى، ما امكننا ذلك، حتى يكون حكمنا بعد ذلك حكما عادلا ومنصفا.

ولسائل أن يسأل فيقول " بالرغم من ايرادك نصوصا لابن الجوزى من عدة مؤلفات له، تدل على تناقضه واضطرابه، الا أننا مع ذلك نسأل " كيف يمكن أن يكون حكمك عليه بالاضطراب عادلا ؟ أليس من المحتمل أن يكون احد هذه الآراء سابقا على الآخر، فيكون المتأخر حينئذ هو الرأى الراجح عنده، والناسخ للمتقدم، اما التأويل، أو التفويض، أو الاثبات ؟

والجواب على ذلك " أن هذا اعتراض وجيه، واحتمال وارد، ولكننا نقول ردا على هذا " إن موضوع الصفات، من الموضوعات الصعبة والشائكة التى دار حولها خلاف كبير، وجدل واسع النطاق بين الفرق المختلفة، حتى رمت الفرق بعضها بعضا بأشنع الألقاب المنفرة - كما بينا ذلك سلفا - وبناء على هذا فانه اذا كان تعدد آراء ابن الجوزى واختلافها ناتجا عن تقدم بعض هذه الآراء على بعضها الآخر، فقد كان من الواجب على ابن الجوزى أن يبين في أحد كتبه، بأنه كان يقول بهذا الرأى " (التأويل، أو التفويض، أو الاثبات) ثم رجع عنه، وهذه الطريقة هي التى اتبعها كثير من العلماء الذين كانت تتغير آراؤهم تجاه ما كانوا يعتقدونه، وأضرب لذلك مثالا، بأبي الحسن الأشعرى، الذى رجع عن عقيدة الاعتزال، فأبان عن ذلك، وأبو بكر الباقلاني، وغيرهما.

يضاف الى ذلك ، أننا قد رأينا أن ابن الجوزي كان يختلف رأيه في الكتاب الواحد ،كما بينا ذلك . فما سبب هذا الاضطراب ؟

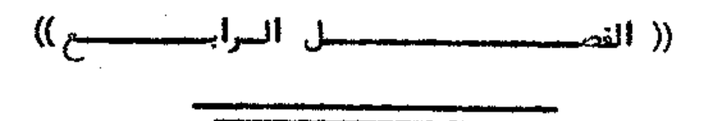
يجيبنا ابن رجب — رحمه الله تعالى — على هذا التساؤل في كتابه (ذيل طبقات الحنابلة) فيقول "

((... نقم جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمتهم — أي الحنابلة — عليه — أي ابن الجوزي — الى التأويل في بعض كلامه ، واشتد نكيرهم عليه في ذلك . ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف ، وهو وان كان مطلعا على الأحاديث والآثار في هذا الباب ، فلم يكن خبيرا بحل شبهة المتكلمين ، وبيان فسادها ، وكان معظما لأبي الوفاء بن عقيل ، يتابعه في أكثر ما يجد في كلامه ، وان كان قد رد عليه بعض المسائل ؛ وكان ابن عقيل بارعا في الكلام ، ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار ، فلهذا يضطرب في هذا الباب ، وتتلون فيه آراؤه ، وأبو الفرج تابع له في هذا التلون) (١)

وقد ذكر ابن تيمية أيضا أن ابن الجوزي مضطرب في موضوع الصفات ، وأنه لم يثبت على رأي واحد كأبي الوفاء ابن عقيل ، يقول ابن تيمية — رحمه الله تعالى — :

(... وأبو الفرج نفسه متناقض في هذا الباب، لم يثبت على قدم النفي ولا على قدم الاثبات ، بل له من الكلام في الاثبات نظما ونثرا ما أثبت به كثيرا من الصفات التي أنكرها في هذا المصنف (٢) ، فهو في هذا الباب مثل كثير من الخائضين في هذا الباب من أنواع الناس يثبتون تارة ، وينفون أخرى في مواضع كثيرة من الصفات، كما هو حال أبي الوفاء ابن عقيل) (٣)

(١) ابن رجب " الذيل على طبقات الحنابلة ١ / ٤١٤ طبعة ١٣٧٢هـ ١٩٥٢م
(٢) يشير الى كتاب ابن الجوزي "(دفع شبهة التشبيه)
(٣) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٤ / ١٦٩



((الفصـــــــــــل الـرابـــــــع))

((مقــا رنـــة منهــج ابن الجـــــوزى بمنهج الامــــام أحمـــــد
ــ رضي الله عنــه ــ في الصفــات الخبريــة))

((الفصـــــل الـــرابـــع))

((مقارنة منهج ابن الجوزى بمنهج الامام احمد — رضي الله عنه — في الصفات الخـــــبريـــة))

لقد تبين منهج ابن الجوزى في الصفات الخبرية ، وأصبح رأيه واضحا فيهـا من خلال عرضنا له في الفصل السابق ، فقد ظهر أنه متناقض في أقوالـــه ، ولا يكاد يستقر على رأى واحد ، فمرة يذهب الى تأويل الآيات والاحاديـث الواردة فيها ، وأخرى يقول بالتفويض ويكل العلم بها الى الله تعالـــى ، وأحيانا يقول بالرأيين معـا .

وفي هذا الفصل لا نقصد من عقد هذه المقارنة استقصاء بحث الصفات الخبرية ومقارنة رأى ابن الجوزى فيها برأى الامام أحمـد ، وانما الذى نقصده — هنا — عدة أمور "

الأمـر الأول "

أننا ذكرنا في بداية (الفصل الثالث) أن ابن الجوزى ألـف كتابه (دفع شبهة التشبيه) ليرد به على بعض الحنابلة المنتسبين الى مذهب الامام أحمد ، والذين نسبوا الى مذهب الامام فـي الصفات ما ليس منه ، وأن ابن الجوزى أراد بهذا الكتاب أن يبين مذهب الامام ، ويؤيد رأيه فيه بالأدلة ، غير أن ابن الجـوزى قد سار في هذا الكتاب على منهج التأويل ، ولم يستطع أن يقيم الأدلة على أن هذا المنهج وهذا الطريق هو رأى الامام احمد الا أن ابن الجوزى قد ذكر قولا للامام احمد — سنبينه فيما بعـد ان شاء الله — لعله اعتمد عليه في نسبة التأويل الى الامـام وسنحاول أن نتتبع أقوال ابن الجوزى لنقف من خلال هذه الأقوال — أو ما ينقله عنه غيره — على ما عساه أن يكون عمدة ابـن الجوزى في هذه الدعوى التى ادعاها في كتابه (دفع شبهة التشبيه)

الأمر الثاني"

أننا اذا عثرنا على ما اعتمد عليه ابن الجوزى في القول بأن ما ذكره من تأويل الصفات الخبرية هو مذهب الامام احمد ، فان علينا أن نتبين صحة هذه النسبة الى الامام احمد .

الأمر الثالث"

سنحاول أن نذكر ما يؤيد حجة ابن الجوزى أو ينقضها من كلام الامام احمد ، لنقف بعد ذلك على الصلة التى تربط مذهب ابن الجوزى في الصفات الخبرية بمذهب الامام احمد ، معتمدين في ذلك على ما كتبه ابن الجوزى من مؤلفاته ، سواء أكانت في كتابه "(دفع شبهة التشبيه) أم غيره من مؤلفاته الكثيرة والمتعددة .

والآن نبدأ الكلام عن ابن الجوزى فنقول "

الأمر الأول "

وهو بيان ما اعتمد عليه ابن الجوزى في نسبة التأويل الى الامام احمد .

يذكر ابن الجوزى عن الامام احمد أنه قال في قوله تعالى " (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)(١) أن المراد " يأتي أمره وقدرته .

يقول ابن الجوزى في كتابه "(زاد المسير في علم التفسير)(٢) عند تفسير الآية المتقدمة "

قوله تعالى "(الا أن يأتيهم الله) كان جماعة من السلف يمسكون عن الكلام في مثل هذا .

---

(١) سورة البقرة آية (٢١٠)
(٢) ابن الجوزى" زاد المسير في علم التفسير ١/ ٢٢٥
وابن الجوزى " دفع شبهة التشبيه ص٢٥

وقد ذكر القاضي أبو يعلى عن احمد أنه قال" المراد به قدرتـــه وأمره ، قال" وقد بينه في قوله تعالى "(أو يأتي أمر ربك) (١)

ويذكر ابن تيمية أن هذه الرواية المنقولة عن الامام احمد في تفسير هذه الآيـة ، انما هي من رواية حنبل (٢) — ابن عم الامام احمد — ، ذلك أن حنبلا نقل عنه في (المحنـة) أنهم لما احتجوا عليه — في خلق القرآن — بقول النبي صلى الله عليه وسلم "(تجئ البقرة وآل عمران كأنهما غمامتـان أو غيايتا ن ، أو فرقان من طير صواف) وقالوا له " لايوصف بالاتيان والمجئ الا مخلوق ، فعارضهم أحمد رحمه الله تعالى بقوله تعالى "(هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) قال قيل " انما يأتي أمره ·

وقد اختلف اصحاب احمد في هذه الرواية على ثلاث طوائف "

فمنهم من قال "

غلط حنبل ، لم يقل احمد هذا ، وقالوا " حنبل له غلطات معروفة وهذه منها · وهذه طريقة أبي اسحاق بن شاقلا ·

ومنهم من قال "

بل أحمد قال ذلك على سبيل الالزام لهم = يقول " اذا كان قد اخبر — تعالى — عن نفسه بالمجئ والاتيان ، ولم يكن ذلك دليلا على أنه مخلوق ، بل تأولتم ذلك على أنه جاء أمره ، فكذلك قولوا " جاء ثواب القرآن لا أنه نفسه هو الجائي ·

---

(١) سورة الانعام آية (١٥٨)

(٢) هو (حنبل بن اسحاق أبو علي الشيباني ابن عم الامام احمد قال الخطيب احمد بن ثابت " كان ثقة ثبتا ، وسئل الدارقطني عنه فقال " كان صدوقا ، وقال ابو بكر الخلال " قد جاء حنبل عن احمد بمسائل أجاد فيها الرواية وأغرب بغير شئ) ·ا·هـ طبقات الحنابلة ١ / ١٤٣ ·

ومنهم من قال "

ان احمد قال هذا الكلام ذلك الوقت ، وجعلوا هذه رواية عنه ، ثم من يذهب منهم الى التأويل ـ كابن عقيل وابن الجوزى وغيرهما ـ يجعلون هذه عمدتهم ، حتى يذكرها أبو الفرج ابن الجوزى في تفسيره ، ولا يذكر من كلام احمد والسلف ما يناقضها) (١)

اذن فالعمدة التى اعتمد عليها ابن الجوزى في نسبة التأويل الى الامام احمد هي هذه الرواية المنقولة عن حنبل والتى ذكرها ابن الجوزى في تفسيره (زاد المسير) كما بيناذلك.

الأمر الثاني "

بيان مدى صحة نسبة التأويل الى الامام أحمد رحمه الله تعالى .

يذكر ابن تيمية أن هذه الرواية التى نقلها حنبل عن الامام احمد في (المحنة) لم ينقلها غيره ممن نقلوا مناظرته في (المحنة) كعبد الله بن احمد ، وصالح بن احمد ، والمروذ ى، وغيرهم . (٢)

لذلك فان أبا اسحاق ابن شاقلا اعتبر هذه غلطة من الغلطات المعروفة التى وقعت من حنبل ، حيث أنه قد نسب

---

(١) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٥/ ٣٩٨ ــ ٤٠٠

(٢) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٥/ ٣٩٩

اليه الغلط في النقل . ومما يرجح قول أبي اسحاق بن شاقلا في أن هذه الرواية قد غلط فيها حنبل ، أن عبد الله بن الامام احمد قد نقل عن أبيه في تفسير قوله تعالى "
(هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) أنه قال "
(يأتيهم الله في ظلل من الغمام ، وتأتيهم الملائكة عند الموت) (١)
فهذا نص من عبد الله بن احمد عن ابيه في موضع الخلاف يؤيد القول بضعف الرواية التى نقلها حنبل عن الامام احمد .
ويرجح القول بأن الامام احمد لم يذهب الى التأويل ، بل فسر الآية على ظاهرها كما وردت .

الأمر الثالث"

سنذكر شواهد من أقوال الامام احمد لنرى بعد ذلك هل تتفق هذه الأقوال مع ما ادعاه ابن الجوزى من أن التأويل هو مذهب الامام احمد أو تخالفه ؟ .
من المعروف أن الجهمية يقولون " ان الله تعالى في كل مكان ، لا يكون في مكان دون مكان . فألف الامام احمد كتابه المعروف بـ(الرد على الزنادقة والجهمية) وناقشهم في موضوعات كثيرة منها قولهم هذا ، فقال الامام احمد "
(بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش)
((... وقد قال تعالى "(الرحمن على العرش استوى) (٢)

---

(١) عبد الله بن احمد " كتاب السنة ص ١٦٦ المطبعة السلفية بمكة سنة ١٣٤٩ هـ
(٢) سورة طه آية (٥)

وقال تعالى "(خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش) (١)

وساق في الاستدلال على ذلك ـ بالاضافة الى الآيتين السابقتين ـ آيات كثيرة ، نذكر بعضها . قال الامام احمد "

((... وقد أخبرنا ـ الله تعالى ـ أنه في السماء ، فقال ـ تعالى ـ " (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) ، (أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) (٢) (اليه يصعد الكلم الطيب) (٣) (وهو القاهر فوق عباده) (٤)) فهذا خبر ، الله أخبرنا أنه في السماء .

وقال الامام احمد في قوله تعالى "(وهو الله في السموات وفي الأرض)(٥) ـ وهو ما استدلت به الجهمية أن يكون الله في كل مكان ـ يقول الله تعالى (هو اله من في السموات واله من في الأرض وهو على العرش ، وقد أحاط علمه بما دون العرش ، ولا يخلو من علم الله مكان ، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان ، فذلك قوله تعالى " (٦) (لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) (٧)

---

(١) سورة الأعراف آية (٥٤) وسورة الحديد آية (٤)

(٢) سورة الملك آية (١٦ـ١٧)

(٣) سورة فاطر آية (١٠)

(٤) سورة الأنعام آية (١٨) وآية (٦١)

(٥) سورة الأنعام آية (٣)

(٦) سورة الطلاق آية (١٢)

(٧) الامام احمد بن حنبل " الرد على الزنادقة والجهمية ص٩٢ـ١٠٢ ضمن مجموعة (عقائد السلف) تحقيق الدكتور على سامي النشار .

م/ب

ولنا وقفة مع نص الامام احمد هذا في استدلاله على أن الله على العرش، وعلمه في كل مكان، لنعود الى ابن الجوزى في كتابه (دفع شبهة التشبيه) حيث نجده يذكر هناك، أن من معاني الاستواء " الاستيلاء "، ويقول "(... ينبغي أن يقال " ليس بداخل في العالم وليس بخارج منه ، لأن الدخول والخروج من لوازم المتحيزات . ويقول أيضا "

(... واحتج بعضهم بأنه على العرش بقوله تعالى "(اليه يصعد الكلم الطيب ...) وبقوله تعالى "(وهو القاهر فوق عباده) وجعلوا ذلك فوقية حسية ونسوا أن الفوقية الحسية اما أن تكون لجسم أو جوهر، وأن الفوقية قد تطلق لعلو المرتبة فيقال " فلان فوق فلان ، ثم انه كما قال تعالى "(فوق عباده) قال تعالى (وهو معكم) (١) فمن حملها على العلم ، حمل خصمه الاستواء على القهر) . (٢) ا . هـ

وكأني بابن الجوزى يرد على امامه ـ الذى ادعى أنه يدافع عن مذهبه ـ في استدلاله على علو الله تعالى على خلقه وأنه على عرشه بائن من خلقه بقوله تعالى "(اليه يصعد الكلم الطيب) وبقوله تعالى "(وهو القاهر فوق عباده) بأن المراد من هاتين الآيتين علو المرتبة ، كما يقال فلان فوق فلان وليس المراد العلو الحقيقي ، والا للزم أن نحمل قوله تعالى (وهو معكم) على المعية الحقيقية .

وهذا تباين في الآراء ، واختلاف في المنهج بين ابن الجوزى والامام احمد يؤيد ذلك ما نقله الذهبي أن الامام احمد سئل "(الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه ... وعلمه بكل مكان ؟ قال " نعم هو على عرشه ولا يخلو شئ من علمه) (٣)

---

(١) (وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير) سورة الحديد آية (٤)
(٢) ابن الجوزى " دفع شبهة التشبيه ص١٨، ٢٠، ٢١
(٣) الذهبي " العلو للعلي الغفار ص ١٣ الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨م

م/ب

وهذا لايتفق مع ما قاله ابن الجوزى في كتابه " دفع شبهة التشبيه)
حيث يقول "

((ولسنا نختلف أن الجبار تعالى لايعلوه شئ من خلقه بحال ، وأنه لايحل في الأشياء بنفسه ، ولايزول عنها ، لأنه لو حل بها لكان منها ، ولو زال عنها لنأى عنها) (١)

وقال ابن الجوزى ـ ايضا ـ في كتابه (مجالس ابن الجوزى)"
((... ويتنزه ـ تعالى ـ عن قبول الاتصال والانفصال) (٢)

وهذا القول من ابن الجوزى يخالف تماما قول الامام احمد " بأن الله تعالى بائن من خلقه .

أما صفتا الوجه واليدين ، فقد نقل أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي مذهب الامام احمد فيهما فقال "

(ومذهب أبي عبد الله احمد بن حنبل رضي الله عنه " أن لله عز وجل وجها . لاكالصورة المصورة ، والأعيان المخططة ، بل وجه وصفه بقوله تعالى "(كل شئ هالك الا وجهه) (٣) ومن غيّر معناه فقد ألحد عنه ، وذلك عنده وجه في الحقيقة دون المجاز ، ووجه الله باق لايبلى وصفة له لاتفنى ، ومن ادعى أن وجهه نفسه فقد ألحد ... وليس معنى (وجه) معنى (جسد) عنده . ولا (صورة) ولا (تخطيط) ومن قال ذلك فقد ابتدع .

وكان يقول " ان لله تعالى (يدين) وهما صفة له في ذاته ليستا بجارحتين وليستا بمركبتين ولا جسم ، ولا من جنس الأجسام ، ولا من جنس المحدود ، والتركيب ولا الابعاض والجوارح ، ولايقاس على ذلك ولا له مرفق ، ولاعضد ، ولا فيما يقتضي ذلك من اطلاق قولهم (يد) الا ما نطق القرآن به ، وصحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السنة فيه . قال الله تعالى "(بل يداه مبسوطتان)(٤)

(١) ابن الجوزى" دفع شبهة التشبيه ص٤٥ ـ ٤٦
(٢) ابن الجوزى" مجالس ابن الجوزى في المتشابه من الآيات القرآنية ص ١٦
(٣) سورة القصص آية (٨٨) (٤) سورة المائدة آية (٦٤)

م/ب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "(كلتا يديه يمين) وقال الله عز وجل "(ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) (*) وقال "(والسموات مطويات بيمينه (١))

ويفسد أن تكون يده القوة، والنعمة والتفضل ، لأن جمع يد " أيد . وجمع تلك أياد .

ولو كانت اليد ... القوة لسقطت فضيلة آدم) (٢)

أما ابن الجوزى فانه قال عن صفتى الوجه واليدين في كتابه "(دفع شبة التشبيه)

"(قال الله تعالى "(ويبقى وجه ربك) (٣) قال المفسرون" يبقى ربك . وقال الضحاك وأبو عبيدة "(كل شئ هالك الا وجهه) أى الا هو وقد ذهب الذين انكرنا عليهم الى أن الوجه صفة يختص باسم زائد على الذات . فمن أين قالوا هذا وليس لهم دليل الا ما عرفوه من الحسيات وذلك يوجب التبعيض ولو كان كما قالوا كان المعنى " ان ذاته تهلك الا وجهه) (٤)

أما صفة اليدين فقال عنها ابن الجوزى"

(... قوله تعالى "(لما خلقت بيدى).

اليد في اللغة بمعنى النعمة . والاحسان ... واليد القوة ، يقولون له بهذا الأمر يد ، وقوله تعالى "(بل يداه مبسوطتان)أى نعمته وقدرته . وقوله تعالى (لما خلقت بيدى) أى بقدرتي ونعمتي .

وقال ابن الجوزى في الرد على من يقول " لو كان المراد بها القدرة لما كانت لآدم فضيلة "

((... فلا ينبغي أن يتشاغل بطلب تعظيم آدم عليه السلام مع الغفلة عما يستحقه البارى سبحانه من التعظيم بنفي الأبعاض والآلات) (٥)

---

(١) سورة الزمر آية (٦٧)
(٢) أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز" طبقات الحنابلة ٢/ ٢٩٤
(٣) سورة الرحمن آية (٢٧)
(٤) ابن الجوزى" دفع شبهة التشبيه ص ١
(٥) ابن الجوزى" دفع شبهة التشبيه ص ١١ ـ ١٣
(*) سورة ص آية (٧٥)
م/ب

وهنا يزداد الأمر وضوحا في الفرق بين منهج ابن الجوزى والامام احمد ، وكيف أنهما لايتفقان في الرأى حول الصفات الخبرية ، ولا نريد أن نستطرد في ذكر الأمثلة من أقوال الامام احمد وابن الجوزى، ولكننا نود قبل أن ننهي هذا الفصل أن نقول " ان مذهب الامام احمد أشهر من أن يحتاج الى بيان ٠ اذ أن الامام احمد أصبح اماما يقتدى به أئمة مشهورون كابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، وأبي الحسن الأشعرى الذى سبق أن ذكرنا طرفا من أقواله التى تابع فيها الامام احمد ، ويزيد الامر وضوحا ـ هنا ـ فنذكر بعض تلك الأقوال فنقول "

قال أبو الحسن الأشعرى" (فان قال لنا قائل ٠٠٠ فعرفونا قولكم الذى به تقولون ، وديانتكم التى بها تدينون قيل له " قولنا الذى نقول به ، وديانتنا التي ندين بها ، التمسك بكتاب ربنا عز وجل وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته ، وأجزل مثوبته قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون ، لأنه الامام الفاضل)

الى أن قال " (وأن الله استوى على عرشه كما قال ـ تعالى ـ" (الرحمن على العرش استوى) وأن له وجها كما قال" (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وأن له يدين بلا كيف كما قال " (لما خلقت بيدى) وكما قال" (بل يداه مبسوطتان) وأن له عينا بلا كيف كما قال" (تجرى بأعيننا) (١) الى آخر ما قال أبو الحسن الأشعرى ، حيث أخذ يعقد لكل صفة بابا خاصا ويستدل لها ، ويرد الشبهة التى أثيرت حولها ٠

---

(١) أبو الحسن الأشعرى " الابانة عن أصول الديانة ص٨، ٩ ادارة الطباعة المنيرية ٠

ونستنتج مما تقدم أن منهج ابن الجوزي في الصفات الخبرية لا يتفق مع مذهب الامام احمد فيها ، فقد سار ابن الجوزي فيها على طريقة التأويل أحيانا أو التردد والاضطراب أحيانا أخرى ، أما مذهب الامام احمد فيها فهو " اثباتها لله تعالى كما ورد بها الكتاب والسنة ، من غير تأويل لها وصرف لمعناها عن الظاهر مع تفويض علم الكيفية الى الله تعالى . يقول اللالكائي حاكيا مجمل اعتقاد الامام احمد رضي الله عنه "

((ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها ، الايمان بالقدر خيره وشره ، والتصديق بالأحاديث فيه والايمان بها ، لا يقال " لم ، وكيف ، انما هو التصديق بها والايمان بها ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفى ذلك وأحكم له ، فعليه الايمان به والتسليم له مثل حديث الصادق والمصدوق ، وما كان مثله في القدر ، ومثل أحاديث الرؤية كلها وان نبت عن الأسماع ، واستوحش منها المستمع ، فانما عليه الايمان بها وأن لا يرد منها حرفا واحدا ، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات) (١)

وعلى ضوء هذا النص الوارد عن الامام احمد ، والذي دعا فيه الى الايمان بأمور كلها تتعلق بالغيب ، كالايمان بالقدر خيره وشره ، والايمان بالرؤية مما لا يقع شئ منها للحس والمشاهدة ، دعا الى الايمان بها دون سؤال ولا استفسار عنها ، واذا لم يستطع المرء فهم النص الوارد في ذلك ، فانما عليه الايمان به والتسليم له وأن لا يرده لأنه يتعارض مع العقل ، أو لأن فيه نوع غرابة على سمعه ، واستبشع ما دل عليه ، وورد فيه من أمور غيبية لا تخضع لميزان العقل والحس .

---

(١) ابو القاسم هبة الله بن الحسين بن منصور الطبري اللالكائي " شرح أصول اعتقاد اهل السنة والجماعة ..) ورقة ٤١ . مخطوطة مصورة . جامعة الملك عبد العزيز بمكة .

وعلى ضوء ذلك كله نستطيع أن نقول كلمة أخيرة في هذا الفصل وهي " أن الانسان في هذه الحياة له موقفان من الناحية الفكرية : موقف تجاه خالق هذا الكون ومنشئه والمتصرف فيه . وموقف آخر تجاه الكون نفسه والنظر فيه ، والاعتبار من تكوينه ، وما يدور فيه ويعيش عليه من الكائنات الحية .

أما الموقف الأول "

وهو موقف الانسان تجاه ربه وخالقه ، منشئ الكون والمتصرف فيه ، فهو موقف الايمان الكامل ، والتسليم التام بما ورد عن الله تعالى في كتابه الكريم وعن رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم مما يتصلق بالله ، والاخبار عن صفاته العليا ، وأسمائه الحسنى ، اذ لا طريق الى معرفة ذلك الا الخبر عن الله تعالى وعن رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، لأن ذلك من الأمور التى لا يمكننا الاطلاع على حقيقتها ، وادراك كنهها ، الا ترى أننا لو افترضنا وجود جماعة من الناس في غرفة موصدة عليهم ، ثم طرق عليهم الباب طارق دون أن يخبرهم باسمه وصفته ، فانهم يذهبون كل مذهب للتعرف عليه وعلى شخصيته ، ولكنه اذا ما أخبرهم باسمه وصفته وحاجته فانه لا يسعهم الا التسليم لما قال ، والتصديق بما أخبرهم به ، وليس في وسعهم أن يشككوا بما أخبرهم به ، لأنه أعلم منهم بنفسه وهو غائب عن أنظارهم فالله تعالى اذا أخبرنا عن نفسه وصفاته لا يسعنا الا الايمان بها دون أن نخوض في البحث فيها أو أن نقيسها بعقولنا التى لا تقف عند حد ، ولا تتفق على رأى ، ولقد رأينا كيف أن المسلمين تفرقوا الى فرق وطوائف عندما أخضعوا أمور الغيب لميزان العقل البشرى ، فالبحث في القدر نشأ عنه ، وجود القدرية والجبرية ، والبحث في ذات الله تعالى وصفاته نشأ عنه وجود المعطلة الذين عطلوا الله عن صفاته ،

العلى صح

التى وصف بها نفسه في كتابه الكريم ، ووصفه بها رسوله - صلى الله عليه وسلم - في السنة الصحيحة ، كما نشأ عنه وجود المشبهة الذين بالغوا في اثبات صفات الله تعالى حتى شبهوه بخلقه تعالى الله عن ذلك ، ولم يتورع الفريقان عما قالوا ، فعلينا أن نؤمن بما جاء عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتصديق بما دلت عليه ، بدون تشبيه الله بخلقه ، ولا تعطيل للصفات من مدلولها ، وان رأينا في ذلك غرابة على اسماعنا ، أو رأينا فيها ما يتبادر لنا أنه يتعارض مع العقل ، لأن الايمان بأمور كهذه دون مناقشة هو محك الايمان، ومصدر اليقين الحق والتصديق الكامل بأمور الغيب ، ألا ترى أن الله لم يطالبنا بالنظر والتدبر في تلك الامور الغيبية ، بل امتدح الذين يؤمنون بالغيب وجعل ذلك من صفات المتقين ، كما امتدح الذين يخشون ربهم بالغيب بقوله تعالى في أول سورة البقرة "(الم . ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب...) الآية (١) وقال تعالى في سورة الملك "(ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) (٢)

أما الموقف الثاني "

فهو موقف الانسان تجاه هذا الكون الكبير والعالم الواسع، والمخلوقات الكثيرة المتعددة فقد دعانا الله تعالى الى النظر فيها وحثنا على التدبر في وجودها وتكوينها ، نظر تدبر وتفكر وتعقل ، ذلك لأنه واقع محسوس ، وعالم مشاهد ، يزيد نظر التدبر فيه قوة الايمان بالله ، ويجدد

---

(١) سورة البقرة آية (١، ٢، ٣)

(٢) سورة الملك آية (١٢)

التفكر فيه حقيقة هذا الوجود وغايته ، وهو أن يكون دليلا على خالقه وعظمته لأن ما نشاهده من عظمة هذا الكون يدلنا على مالم نشاهده وأنـــــه أعظم من هذا وأكبر وكما قيل " البعرة تدل على البعير والأثر يدل علـــى المسير ، ولقد حثنا الله تعالى على النظر في مخلوقاته ، ليتحقق الايمـــان بوجوده ويفرد بالعبادة والطاعة دون غيره •

قال تعالى في سورة آل عمران "

(ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النـــــــار) (١)

وقال تعالى في سورة الغاشية "(أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت • والى السماء كيف رفعت • والى الجبال كيف نصبت • والى الأرض كيف سطحت)(٢)

وقال تعالى "(قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيـات والنـذر عن قوم لايؤمنون) (٣) وقال تعالى "(أولم ينظروا في ملكـــوت السموات والأرض وما خلق الله من شــئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون) (٤)

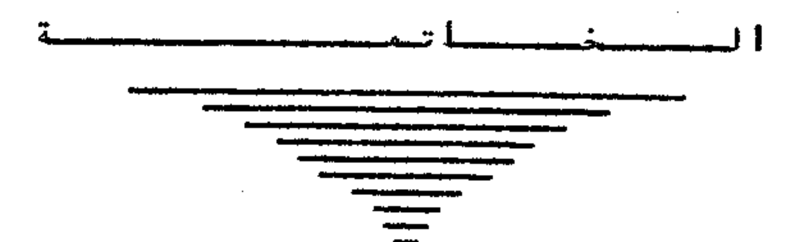
(١) سورة آل عمران آية (١٩٠، ١٩٤)

(٢) سورة الغاشية آية (١٧ـــ ٢٠)

(٣) سورة يونس آية (١٠١)

(٤) سورة الأعراف آية (١٨٥)

الخاتمة



((خاتمـــة البحـــث))

تبين لنا من هذه الدراسة أن البحث يتكون من بابين ، تحت كل منهما فصول ، وأتضح أن الباب الأول كان للتعريف بابن الجوزى، وقد تناول في فصله الأول دراسة عصر ابن الجوزى من الناحية السياسية ، والعلمية، والاجتماعية ، حيث بينا بايجاز كيف كانت تسود بغداد آنذاك الفوضى والاضطرابات ، نتيجة للحروب القائمة بين المسلمين من أهل الحكم، ولكن هذا لم يكن له أثر معاكس على الحياة العلمية ، فقد كان التعليم قائما على قدم وساق ، فالعلماء كانوا يقومون بواجبهم في التدريس والتعليم، والوعظ ، كما وصف لنا ذلك الرحالة ابن جبير في رحلته الى بغداد ·

وأما الحياة الاجتماعية فقد كانت تسودها الفوضى في المعاملة، وسوء السلوك في الأخلاق، كما وصف لنا ذلك ابن الجوزى نفسه وابن جبير · وقد كان لانحراف المجتمع الأثر البالغ على ابن الجوزى في بحوثه ، يظهر ذلك من خلال نقده الشديد وعباراته اللاذعة التى وصف بها مجتمع بغداد ، حيث لا يكاد يسلم من نقده أحد · كما كانت تمر بالمجتمع فترات من ضيق المعيشة نتيجة للحصار الذى كان يضرب على بغداد ، وقد عودت هذه الحالة ابن الجوزى على حياة التقشف حيث اكتفى بما ورثه عن والده من أن يتعرض للخلفاء أو السلاطين في طلب الرزق·

كما درسنا حياة ابن الجوزى ، منذ ولادته ، ونشأته ، وتكلمت عن بعض مشايخه الذين تلقى عنهم العلم ، وذكرت بعض مؤلفاته ، وقد رأينا كيف أنه أكثر من التصنيف ، والتأليف في أنواع العلوم المختلفة ، من تفسير وحديث، ووعظ ، وعقيدة ، وغيرها ، ولكن معظم هذه المؤلفات لا يزال مخطوطا اذ لم تلق عناية من العلماء لنشرها ·

كما تحدثنا في هذا البحث عن المحكم والمتشابه ، والتأويل ، والتفويض وبينا آراء العلماء في ذلك ، وتطرقنا لبحث التأويل بتفصيل أكثر ، حيث بينا ، ورود لفظ (التأويل) في القرآن الكريم ، والمعنى المقصود منه في القرآن الكريم ، وفي اللغة ، وفي اصطلاح العلماء ، وقد توصلنا من ذلك الى نتيجة هامة ومفيدة وهي "

١= أن المتشابه الوارد في سورة آل عمران ، انما هو تشابه نسبي اضافي ، اذا خفي على بعض العلماء علمه آخرون .

٢= أن التأويل يطلق ويراد به ثلاثة معان "

الأول "

التأويل بمعنى "التفسير .

الثاني "

التأويل بمعنى " الحقيقة ، والمآل ، والمرجع والمصير .

الثالث "

التأويل بمعنى " صرف اللفظ عن ظاهره ...

٣= أن المعنيين الأول ، والثاني ، من معاني التأويل ، هما اللذان ورد استعمالهما في القرآن والسنة النبوية ، واللغة ، وفي أقوال الصحابة والتابعين .

أما المعنى الثالث" فلم يكن معروفا في العصور الأولى ، وانما شاع استعماله في القرون المتأخرة في ظروف فكرية ، وسياسية غامضة ولم يورد أصحابه عليه دليلا من اللغة .

٤= أن قول الله تعالى في سورة آل عمران " (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) قد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره

م/ ب

الوقف على لفظ الجلالة من قوله تعالى "(وما يعلم تأويله الا الله) والوقف على قوله تعالى "(والراسخون في العلم) من نفس الآية "(وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) ·

وجمعا بين الأقوال، وبين القراءتين في الآية ، فقد رجحنا ما قاله بعض العلماء وذهب اليه من الجمع بين القولين ، مبينا أن الوقف على لفظ الجلالة يراد به أن معرفة الحقيقة والمآل والمرجع مما يختص به الله جل شأنه ، وهذا هو أحد المعاني الواردة في القرآن الكريم ، واللفظة لكلمة (تأويل) ·

أما الوصل والوقف على قوله تعالى "(والراسخون في العلم) فيراد به " التفسير ، والمعنى ، فالعلماء يعلمون ذلك ولا يخفى على جميعهم ، وقد ارتضينا هذا القول خروجا من الخلاف ، وجمعا بين الأقوال ·

كما بحثنا موضوع الصفات بوجه عام ، وتوصلنا الى أن ابن الجوزى لا يخالف في اثبات صفات المعاني لله تعالى ، على انها صفات زائدة على الذات ·

أما موضوع الصفات الخبرية ، فقد بينا فيه آراء ابن الجوزى ، بعد عرضنا لآراء الفرق الأخرى ، وتوصلنا من هذا البحث الى أن ابن الجوزى قد اضطرب رأيه في الصفات الخبرية ، وأنه لا يستقر على رأى ، وقد علمنا نتيجة لذلك ، أن الآراء التى سبق ذكرها حول تحديد موقف ابن الجوزى من الصفات الخبرية ، والتى اعتمد أصحابها على كتابه "(دفع شبهة التشبيه) حيث قال بعضهم" انه مؤول ، وقال آخرون " انه سلفى المذهب لأنه صرح بأنه يتكلم برأى الامام احمد . أقول " لقد نتج عن هذا البحث حقيقة لا ينبغي لكل طالب حق ، وكل منصف أن يغفلها وهي " أن القول المنفرد أو السلوك الواحد الشاهد في حادثة معينة من شخص ما ، لا يمكن أن تكون ـ بأى حال من الأحوال ـ معبرة عن فكره أو سلوكه ، فلا بد اذن من أجل معرفة الحقيقة ، والانصاف في القول ، من أن نتتبع

أقوال الشخص المراد معرفة آرائه ، وذلك من خلال ما كتب ، لنصدر بعد ذلك الحكم له أو عليه عن بحث ودراية ، لئلا نقع فيما وقع فيه هؤلاء؟ الذين أرادوا أن يحددوا موقف ابن الجوزى من الصفات الخبرية من خلال كتابه "(دفع شبهة التشبيه) ولئلا نقع كذلك فيما وقع فيه ابن الجوزى من اعتماده في نسبة التأويل الى الامام احمد على رواية واحدة منقولة عن الامام احمد ، دون أن يتثبت من صحتها ، ويتتبع أقواله الأخرى المنقولة عنه من غير تلك الطريق.

كما بينا في بحثنا هذا ، القول الذى اعتمد عليه ابن الجوزى في نسبة التأويل الى الامام احمد ، وأثبتنا بالدليل أن تلك الرواية ضعيفة ، وقد ذكرنا ما يناقضها من أقوال الامام احمد ، وتوصلنا من هذا البحث الى أن العلاقة بين منهج ابن الجوزى ، ومنهج الامام احمد في موضوع الصفات الخبرية تكاد تكون منتفية ، بل لا علاقة أصلا حيث ذهب الأول الى التأويل أحيانا كثيرة ، بينما التزم الامام احمد مذهب السلف فيها ، وهو الايمان بها بلا تأويل ، ولا تشبيه .

والحمد لله أولا وآخرا على نعمه الكثيرة وما توصلنا اليه من توفيق وهداية ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

م/ب

((المـــــراجـــــع))

القرآن الكريم "

ابن الأثير "

الكامل " دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٦ هـ

النهاية في غريب الحديث"

طبعة الحلبي ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م

ابن تيمية " تقى الدين أبو العباس احمد بن عبد السلام .

الاكليل في المتشابه من التنزيل .

مطبعة " محمد على صبيح وأولاده بمصر .

التدمرية " ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ، طبعة الرياض .

تفسير سورة الاخلاص .

الحموية الكبرى " ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام طبعة الرياض .

ابن الجوزى " عبد الرحمن بن علي .

البازى الأشهب المنقض على مخالفي المذهب .

مخطوطة مصورة (ميكروفيلم) معهد المخطوطات . جامعة الدول العربية بالقاهرة برقم (٤٤) توحيد .

تلبيس ابليس " دار الوعي العربي ـ بيروت ـ لبنان تحقيق " خير الدين علي .

دفع شبهة التشبيه والرد على المجسمة ممن ينتحل مذهب الامام احمد رضي الله عنه . مطبعة الترقي عام ١٣٤٥ هـ المكتبة الأزهرية بالقاهرة برقم خاص (٣٧٩٤) توحيد ، وبرقم عام (٢١١٠٥)

(ذم الهـــوى)

م/ب

زاد المسير في علم التفسير" طبعة المكتب الاسلامي للطباعة والنشر • ١٣٨٢هـ
ـ ١٩٦٤م الطبعة الاولى •
صفة الصفوة " الطبعة الأولى •
صيد الخاطر " تحقيق• ناجي الطنطاوى•
مجالس ابن الجوزى في المتشابه من الآيات القرآنية)
مخطوطة مصورة (ميكو وفيلم) معهد المخطوطات / جامعة
الدول العربية/القاهرة رقم(٢١٦)تفسير •
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم "
الطبعة الأولى " حيدر أباد عام ١٣٦٢ هـ

(ابن حجر العسقلاني) " أبو الفضل أحمد بن علي •
تهذيب التهذيب " طبعة حيدر أباد الطبعة الاولى ١٣٢٥ هـ

ابن خلكان "
وفيات الأعيان " الطبعة الأولى ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م

(ابن رجب) "
ذيل طبقات الحنابلة"
مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢ م

(ابن سيناء) "
((النجاة)) الطبعة الثانية ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨ م

(ابن فارس))
(مقاييس اللغة) " دار احياء الكتب العربية • الطبعة الأولى ١٣٦٦ هـ
تحقيق" عبد السلام محمد هارون •

(ابن القيم) " أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الشهير
بابن قيم الجوزية .
اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية .
" الناشر " زكريا على يوسف .
اعلام الموقعين " تحقيق " عبد الرحمن الوكيل .

(ابن منظور)
لسان العرب " دار بيروت للطباعة والنشر عام ١٩٥٦ م

أبو الحسن الأشعرى" علي بن اسماعيل .
الابانة عن اصل الديانة .
" ادارة الطباعة المنيرية .
مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين .
الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م تحقيق محمد محي الدين
عبد الحميد .
أبو الحسين : محمد بن أبي يعلى . طبقات الحنابلة . مطبعة السنة المحمدية / القا

أبو الحسين " محمد بن احمد بن جبير (٥٣٩ ـ ٦١٤ هـ)
رحلة ابن جبير " دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٣٧٩ هـ

أبو عبد الله " أحمد بن حنبل .
كتاب السنة " المطبعة السلفية بمكة ١٣٤٩ هـ
الرد على الزنادقة والجهمية)
" ضمن مجموعة عقائد السلف تحقيق د " على سامي النشار .

أبو الفداء " الحافظ اسماعيل بن كثير .
البداية والنهاية " مطبعة السعادة بمصر .
تفسير القرآن العظيم " مطبعة عيسى الحلبي بمصر .

أبو محمد " عبد الله بن احمد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني
المتوفى سنة ٧٦٨ هـ .
مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان)
" مؤسسة الأعلمي " بيروت .

أبو المظفر " يوسف بن قزاوغلي التركي الشهير بسبط ابن الجوزي .
مرآة الزمان " الطبعة الأولى ، حيدر أباد عام ١٣٧٠ هـ ــ ١٩٥١ م

أبو منصور " محمد بن احمد الأزهري .
تهذيب اللغة " دار الكاتب العربي ١٩٦٧ م تحقيق "
ابراهيم الابياري .

د " احمد شلبي "
تاريخ التربية الاسلامية .
" الطبعة الثالثة ١٩٦٦ م مكتبة النهضة المصرية .

د " حسن ابراهيم حسن .
تاريخ الاسلام السياسي "
الطبعة الأولى ١٩٦٧ م

عبد العزيز سيف النصر عبد العزيز •
مسائل العقيدة الاسلامية بين التفويض والتأويل وآراء الفرق الاسلامية فيها •
" رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة ،كلية اصول الدين
جامعة الأزهر عام ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٤م

القاضي عبد الجبار •
شرح الاصول الخمسة" الطبعة الأولى •
متشابه القرآن " دار التراث / القاهرة •
المغني في أبواب التوحيد والعدل •
" الطبعة الأولى •

محمد رشيد رضا " •
" تفسير المنار " الطبعة الرابعة ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠م

محمد السيد الجليند •
الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل •
ط• مجمع البحوث الاسلامية — الازهر ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣م

محمد فؤاد عبد الباقي •
المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم •
" دار احياء التراث العربي • بيروت ، لبنان •

الألوسي " محمود •
روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني •
الطباعة المنيرية •

م/ب

الايجى " عبدالرحمن بن احمـد .

المواقـــف " شرح السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ الطبعة الاولى ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م مطبعة السعادة بمصـــر .

الباقلاني " أبو بكر محمد بن الطيب .

التمهيد في أصول الديـــن .

منشورات جامعة الحكمـة ببغداد تصحيح ونشر الأب / رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي المكتبة الشرقية . بيروت ١٩٥٧ م

البغدادى " أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمي .

أصول الدين " الطبعة الأولى ١٣٤٦ هـ

الفرق بين الفرق " تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد .

البخارى " أبو عبد الله محمد بن اسماعيل

الجامع الصحيح مع شرحه (فتح البارى) لابن حجر العسقلاني .

المطبعة السلفية ومكتبتها شارع الفتح بالروضة القاهرة سنة ١٣٨٠هـ

التفتازاني " سعـد الديـن .

شرح المقاصد .

الجوهـــرى " اسماعيل بن حماد .

الصحـــــاح " دار الكتاب العربي بمصر . تحقيق " احمد عبدالغفور عطار .

الجويني " امام الحرميـــــن .

الشامل في أصول الدين .

" منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٦٩ م

تحقيق د . علي سامي النشـــار .

الخوانســـاري الأصبهاني .
روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات .
الطبعة الثانيـــــــــة .

الخولي " جمعـه علي محمــــــد .
ابن الجوزي الواعظ ومنهجه في الدعوة الى الله .
" رسالة دكتوراه . كلية أصول الدين بالأزهر عام ١٩٧٣م

الـذهـبي " شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان .
العلو للعلي الغفار " تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان .
الناشر " المكتبة السلفية بالمدينة المنورة الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ
ـ ١٩٦٨م
تذكرة الحفاظ " الطبعة الثالثة .
ميزان الاعتدال في نقد الرجال .
تحقيق " علي محمد البجاوي .
دار احياء الكتب العربية . الحلبي وشركاه .

الرازي " أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين القرشي الطبرستاني .
التفسير الكبيـــر " الطبعة الأولى .

الراغب الأصفهاني " أبو القاسم الحسين بن محمــــــد .
المفردات في غريب القـــرآن "
تحقيق " محمد سيد كيلاني / مطبعة الحلبي بمصـــر .

الزبيـــدى "
تاج العروس " الطبعة الأولى سنة ١٣٠٦ هـ

الزرقانـــي " محمد عبد العظـــيم .
مناهل العرفان في علوم القرآن .
" مطبعة عيسى البابي الحلبي .

الـــزركلي " خـــير الدين .
الاعـــلام .

الزمخشـــرى " أبو القاسم جارالله محمود بن عمـر .
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيو ن الأقاويل في وجوه التأويل "
مطبعة الحلبي بمصـر ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م

السيوطـي " جلال الدين عبد الرحمن .
الاتقان في علوم القرآن "
الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١م
تفسير الجلالين ، مع حاشية الجمل .
" طبعة الحلبي بمصـــر .
حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة .

الشهرستاني " أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن احمد المتوفى ٤٨ هـ
الملل والنحـل " تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل . الناشر " مؤسسة الحلبـــي
وشركاه القاهرة سنة ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٨ م

الطـــبرى " أبو جعفر محمد بن جرير .
جامع البيان عن تأويل آى القرآن)
تحقيق محمود محمد شاكر .

العليمي " أبو اليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن
(٨٦٠ ـ ٩٢٨)
المنهج الأحمد في تراجم اصحاب الامام احمد .
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م

العماد الحنبلي " أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب.

الغزالـــي " أبو حامد محمد المتوفى سنة ٥٠٥ هـ
الاقتصاد في الاعتقاد.
الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٦ م

الفيروزأبادى ".
القاموس المحيط " مطبعة السعادة بمصـــــر .

القاسمي " محمـد جمال الـدين .
تفسير القاسمي (محاسن التأويل) تحقيق " محمد فؤاد عبد الباقي .
طبعة عيسى الحلبي .

اللالكائي " أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن منصور الطبرى .
شرح أصول اعتقاد اهل السنة والجماعة من الكتاب والسنـة واجماع الصحابـة
و التابعين ومن بعـــــــــــــــدهم .
مخطوطة مصورة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .

م/ب

المقدسـى " أبو محمد شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم الشافعي .

الروضتين في اخبار الدولتين)

مطبعة وادى النيل صنة ١٢٨٧ هـ

الدميمـى " عبد القادر بن محمد النعيمى الدمشقي المتوفى سنة ٩٢٧ هـ

الدارس في تاريخ المدارس

" مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م

ياقوت الحموى " أبو عبد الله يقاوت بن عبد الله الحموى الرومي البغدادى.

معجم البلدان " دار بيروت للطباعة والنشـر .



م /ب